الفصل الثاني:

"المسار العاملي والاستهوائي"

-دراسة في التركيبة السردية لثلاثية "حكاية بحار"-

أولا: المرحلة الأولى: البرنامج السّردي المعرفيّ للذّات **سعيد** والموضوع **(الاعتقاد بموت والده)**، والبرنامج الاستهوائي له **(الأمل في العثور عليه حيا)**.

ثانيا: المرحلة الثانية: البرنامج السّردي المعرفي للذّات **سعيد** والموضوع **(الاعتقاد بأنّ والده على قيد الحياة والسّعي للبحث عنه)**، والبرنامج الاستهوائي له **(الأمل في العثور عليه)**.

إنّ استخلاص مفاهيم النّظريّة السّيميائيّة السّرديّة من البنية السّرديّة يستلزم الغوص في ثنايا الخلفيّة المعرفيّة لنظريّة "غريماس". وضبط الرّوافد المرجعيّة لها من الرّافد الفلسفي، والرّافد اللّساني، والرّافد المعرفي، ولعلّ تحديد مفاهيم السّيميائيّة السّرديّة من مرحلة المكاسب وسيميائيّة العمل إلى مرحلة المشاريع وسيميائيّة الأهواء، يساعد المحلّل السّيميائي على ضبط المفاهيم والآليّات السّيميائيّة التي يتّخذها كمفاتيح للولوج إلى أغوار النّص السّردي والكشف عن بنياته الدّلاليّة، أو يمكن القول تتبّع «مجموعة من آليّات إنتاج النّص المحايثة، والتي يمكن إعادة توزيعها وفق تصوّر إنتاجي، وخاصّة ما يتعلّق منها بمستويات النّص الواصفة لمراحل الإنتاج المتمثّلة في البنية الأوليّة للدّلالة السّرديّة»[1].

وإذا كانت سيميائيّة العمل تهتمّ بدراسة النّص والكشف عن دلالته انطلاقا من تتبّع المستوى الخطابي نحو المستوى السّردي، والمستوى المنطقي الدّلالي ودراسة حركة العامل من خلال سلسلة الحالات والتّحوّلات للفعل بمعنى تتبّع المسار العاملي للذّات، وعلاقته بالموضوع، فإنّ سيميائيّة الأهواء أتت لملء بياض سيميائيّة العمل، في المستويات الثّلاثة، وذلك بتتبّع المسار الاستهوائي للذّات وعلاقته في المستويات بالعالم الخارجي، ومنه سنحاول رصد

---

(1)– ينظر: عبد اللطيف محفوظ، المعنى وفرضيات الانتاج مقاربة سيميائية في روايات نجيب محفوظ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 2008، ص 14.

المفاهيم الإجرائيّة لسيميائيّة العمل وسيميائيّة الأهواء في الثّلاثيّة بتتبّع المسار العاملي والمسار الاستهوائي للذّات، ونكون بذلك أمام ذات عاملة واستهوائيّة في آن واحد «بالانتقال من مستوى إلى مستوى آخر، وذلك لإدراك النّظام الكامن من خلال المستوى التجريدي، الذي ينحو نحو كشف البنيات العميقة التي ينطوي عليها العمل، والكامنة وراء صياغة النّص الأدبي، فالمعنى لا يستخلص إلاّ من خلال التّآلف بين أجزاء الوحدات التّركيبيّة، المتتابعة في المحور السّياقي، إذ إنّ الجزء من المستوى السّردي، لا يكتمل معناه إلاّ إذا ارتبط ببقيّة الأجزاء، قصد تكوين المعنى الكامن داخل البنية السّرديّة.

وإذا كان المحلّل أمام الإجراء البنيويّ فإنّه يسهل عليه الاعتماد على المعيار الزّمني لتقطيع الثّلاثيّة بحسب مراحلها الثلاث: (مرحلة الطّفولة والشّباب، والكهولة)، غير أنّ الإجراء السّيميائي يضعنا أمام صعوبة الدّراسة وتفكيك شبكة البرامج السّرديّة المتداخلة مع بعضها، فالبرنامج السّردي الواحد لا ينتهي عند طور الجزاء حتّى يسمح لنفسه بميلاد برنامج سرديّ جديد فيكون طور الجزاء كلحظة تحريك وميلاد لبرنامج آخر، فالعمليّة هنا تشبه تماما ما يسمّى بالتّوالد السّردي في السّرديّات، ونجد ذلك في حكايات ألف ليلة وليلة، ولذلك وجدنا أنّ البرامج السّرديّة تجتمع وتتضافر لتشكّل برنامجا سرديّا رئيسيّا وعامّا يهيكلها ويتمثّل في (رحلة بحث سعيد عن والده) على طول المسار السّردي للثّلاثيّة.

وتبدأ رحلة الذّات "سعيد " في المرحلة الأولى بالبحث عن والده معتقدا أنّ والده قد غرق في الباخرة الغارقة، إذ تبدأ عمليّة البحث بالغطس والغوص في البحر مرّات عديدة لاستخراج جثّة والده، والذي اكتشف في نهاية بحثه أنّ الجثّة لرجل غريب. وحينئذ تبدأ المرحلة الثّانيّة إذ يتمسّك بأمل كذوب حيث يعتقد بأنّ والده على قيد الحياة ويجب البحث عنه، ويبقى هذا الأمل كهاجس يزاوله طيلة حياته، وقد يتأزّم الحال فيشكّل لديه أزمة نفسيّة نكتشفها آخر الثّلاثيّة في الكتاب الثّالث (المرفأ البعيد).

وبذلك سنقف على مرحلتين في البحث: الأولى حول اعتقاد "سعيد" بموت والده والثّانيّة حول اعتقاد "سعيد" بأنّ والده على قيد الحياة، في التّركيبة السّرديّة، ولرصد حركة العامل يتم من خلال استخلاص المفاهيم الإجرائيّة لنظريّة "غريماس" من الثّلاثيّة، وذلك بالوقوف على دراسة فعل التّحوّلات والحالات، وعليه سنتتبّع سلسلة الحالات والتّحوّلات المبنيّة على أساس علاقة الذّات بالموضوع[1].

ولكيّ نرصد البرامج السّرديّة للثّلاثيّة علينا أن نتتبّع خطوات أطوار فعل التّحول من وضعيّة إلى وضعيّة مضادّة، وذلك انطلاقا من تتبّع حركة عامل الذّات "سعيد" والموضوع (البحث عن والده)، وكذا الكشف عن سلسلة الحالات والتّحوّلات قبل وبعد استقلال سورية، والقيّم السّوسيوثقافيّة، والإيديولوجيّة والدّلالة الأوليّة المتمثّلة في ثنائيّة الحريّة والاستبداد من خلال الثّلاثيّة.

---

[1]– voir: Group d’Entre vernes, Analyse Sémiotique Des textes p:16.

أوّلا: المرحلة الأولى: البرنامج السّردي المعرفي للذّات "**سعيد**" والموضوع **(الاعتقاد بموت والده)**، والبرنامج الاستهوائي له **(الأمل في العثور عليه)**:

1- البرنامج السّردي المساعد (استخراج الجثّة):

لتتبّع المسار السّردي لسلسة الحالات والتّحوّلات سنقف على أطوار فعل التّحوّل للخطاطة السّرديّة للبرنامج السّردي المساعد للبرنامج السّردي المعرفي للذّات "سعيد" كالآتي:

1-1- الخطاطة السّرديّة:

تقوم الخطاطة السّرديّة على سلسة من الحالات والتّحوّلات لدى العاملين، وتتشكّل هذه التّحوّلات من قواعد تمثّل أطوارا محرّكة للفعل نحو التّحول من وضعيّة بدئيّة إلى وضعيّة نهائيّة وهذا التّحوّل يتّم في الخطاطة السّرديّة بوجود أربعة أطوار هي: [التّحريك **(Manipulation)**، والكفاءة **(Compétence)**، والإنجاز **(Performance)**، والجزاء **(Sanction)**] .

وبما أنّ الثّلاثيّة تقوم على سرد حكاية البحّار "سعيد حزوم" من الطّفولة فالشّباب فالكهولة، فإنّنا سنحاول الوقوف على البرنامج السّردي المعرفي الرّئيس للذّات "سعيد حزوم" الذي يسعى لتحقيق موضوع القيمة لديه المتمثّل في (البحث عن والده)، وفي المرحلة الأولى للبحث نجد "سعيد" يسعى لتحقيق

الموضوع (استخراج الجثّة)، بعد سماعه بخبر غرق والده، وعليه يمكن ضبط أطوار الخطاطة السّرديّة لهذه المرحلة كالآتي:

1-1-1- التحريك (Manipulation):

يعدّ التّحريك اللّحظة الأولى للفعل نحو التّحول، ويمكن القول بأنّه تلك المؤشّرات التي يمكن من خلالها أن تحدّد اللّحظات الأولى للتّغيير أو التّحوّل من وضعيّة إلى وضعيّة مضادّة، وتتجلّى هذه المؤشّرات للفعل بعد غرق "صالح حزوم" في البحر، وذلك أثناء عمليّاته المتكرّرة للغطس لاستخراج صفائح الغاز من الباخرة الغارقة، وقد قرّر البحّارة إخبار ابنه "سعيد حزوم"، لكونه الوحيد القادر على الغطس لإخراج جثة والده، فأرسل البحّارة البحّار "بدر" ليخبر "سعيد" بما حدث لوالده، ومنه فالبحّارة و"بدر" عامل مرسل ومحرّك لعامل الذّات "سعيد" نحو الموضوع (استخراج جثّة والده) كما في الملفوظ: «**بدر! قف .... أريد أن أعرف..... الآن، في هذه اللّحظة ماذا جرى؟... أنا لا أعرف.... البحّارة طلبوا أن آتي بك.... إنّهم ينتظرونك هناك (...) اسمع يا بدر.... أنا لم أقتنع بما تقول.... هناك مسألة أخرى.... مسألة خطيرة، إلاّ ما بعثوا بك في طلبي، قل لي.... أرجوك ماذا جرى؟**»[1].

فتصبح الذّات العاملة هنا ذات حالة واستهوائيّة؛ إذ تدخل في حالة من التوتّر والخوف من المجهول، ويكون العامل المرسل المحرّك استهوائي

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، دار الآداب، بيروت، ط1، 1981، ص 286.

بمعنى «يحلّ التّرتيب الهووي محلّ فعل الفعل للمرسل»[1]، إذ يقوم بتوتير الذّات ويزيد من فعل التوتّر بعد سماع البحّار "أحمد المستكفي" الذي يخبر "سعيد" بما جرى لوالده، ومن ذلك المقطع السّردي: «**قال أحمد المستكفي وهو يشعل سيجارة:**

– أنت شاب، ولن نخفي شيئا عنك.... والدك بخير.

– وأين هو؟

– في البحر!. (...).

– في هذه الباخرة... كنّا نستخرج *تكنات الغاز منها فهوّ صاحب الفكرة....**

– قاطعه غير مصدّق.

والدي صاحب الفكرة؟

– لكنّه في الجبل ... كلّ علمي أنّه كان في الجبل. – هناك نبتت الفكرة في رأسه... كنّا على اتّصال دائما به»[2].

---

[1]–Voir, Algirdas J Greimas, Jacques Fontanille, Sémiotique des Passion (Des états de chose aux états dâme), parise, 1991, p:64.

* ***ملاحظة:*** الكلمات المكتوبة بخطّ مائل وتحتها خطّ في المقاطع السّرديّة في المتن هي كما وردت في الثلاثية.

[2]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص289، 291.

ويتمّ تحريك الذّات "سعيد" بتضافر كلّ من البعد المعرفيّ والبعد التّداولي والبعد الاستهوائي، وترتبط هذه الأبعاد بعامل المرسل في تحريك وتوتير الذّات نحو تحقيق الموضوع (استخراج الجثّة) وذلك باقتناع الذّات بغرق والده ممّا يتطلّب البحث عن جثّته في الباخرة الغارقة إذ كان "صالح حزوم" يقوم بعمليّة الغطس بمفرده واستخراج صفائح الغاز فكانت فكرة "صالح حزوم" هذه عاملا مساعدا لإنقاذ الحيّ من الجوع «**كانت الفكرة جريئة، جيّدة فإذا ما توقفنا استطعنا أ ن ننقض الحيّ من الجوع (...) السّلطة لن تفكّر بحراسة باخرة غارقة....**[1]. وشرح والدك فكرته: «**(أنا أغطس إلى القاع إلى عنابر الباخرة وأعوّم الصّفائح، فإذا طفت على السّطح خذوها إلى الشّاطئ، وهناك نفكّر بكيفيّة تصريفها....**»[2]. «**وقلت مستعجلا الوصول إلى النّهايّة: – وبعد.... خبروني ... ماذا جرى لوالدي !؟. (...)**

– آه يا بني.... والدك كعادته منذ أسبوعين ظلّ ينزل إلى الباخرة ويعوّم الصّفائح... واليوم... صحت وقد ارتعدت لفكرة غرقه: – هل أصابه مكروه!؟

– لا ندري.... نزل ولم يطلع... انتظرناه طويلا... غطسنا وراءه، ومضت ساعات ولم نقف له على أثر.... فقررنا أن نستدعيك.... لتقوم بالبحث معنا...»[3].

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 292.

[2]– المصدر نفسه، ص 293.

[3]– المصدر نفسه، ص ن.

وتبدأ لحظات ومؤشّرات الخوف عند "سعيد" بعد سماعه ما حدث لوالده: «**ضربت على رأسي.... أدركت أكثر من الجميع أنّ والدي غرق، (...) إنّه في الباخرة .... والدي ما يزال في الباخرة، وقد مات، لقد مات والدي وانفجرت باكيّا وشرعت أركض باتّجاه الباخرة.. معتزما البحث عنه بنفسي ولو كلّفني ذلك حياتي**»[1].

كانت مؤشّرات البعد الاستهوائي في تفعيل الذّات للبحث عن والده من خلال الانفعالات الجسديّة، (**صحت وقد ارتعدت لفكرة غرقه، ضربت على رأسي، انفجرت باكيّا، وشرعت أركض باتّجاه الباخرة**)، وتبدأ عمليّة البحث عن ولده بعزم "سعيد" وتصميمه على الغوص في البحر من خلال الملفوظ السّردي: «**وهل من الأفضل أن أبقيه حيث هوّ، راقدا في أحضان البحر أم أخرجه لأدفنه كما يليق، في تراب الوطن؟**»[2]، وقد كان ذلك مؤشّرا لبداية تحريك البرنامج السّردي نحو تحقيق الموضوع (استخراج الجثّة) بقوله: «**الآن أبدأ رحلة المجهول نحو والدي إنّني أغامر، البحر هو المغامرة الكبرى**»[3].

ونجد البعد الاستهوائي يداعب النّفس حيث تتمسّك الذّات "سعيد" بأمل كذوب هو (العثور على والده على قيد الحياة)، كما في الملفوظ السّردي: «**... وفيّ أمل كذوب يداعب النّفس الملهوفة رحت أتخيّل والدي سليما**

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 293.

[2]– المصدر نفسه، ص 296.

[3] – المصدر نفسه، ص302.

في القاع وقد تمكن بطريقة ما أن يدخل حجرة في الباخرة، ويحتمي بها ورجوت دون أيّ سند من قناعة، أن تكون لوالدي قدرة على التّنفس وهو تحت الماء وأن تقع معجزة كهذه بشفاعة جميع الأولياء فأعود إلى البر غانما، شاعرا بهذا المعروف الذي لن أنساه للبحر ما حييت ...»[1] .

فعاطفة الحبّ تمثّل بعدا استهوائيّا ومرسلا محرّكا قويّا يدفع "سعيد" إلى الغطس والبحث عن والده ومواصلة الغطس لأيّام بالرّغم من وجود التّلوث في البحر بسبب الباخرة الغارقة التي تحمل أنابيب البترول وتكنات الغاز ويتجلّى ذلك في قول "سعيد": «**أتساءل وقد مضت أعوام كثيرة على ذلك الحادث هل أنا الذي أقدمت على البحث عن جثّة والدي في باخرة الشّحن الغارقة تلك؟ وكيف ألقيت نفسي إلى التّهلكة مدفوعا بعاطفة كبيرة نصفها ناشئ عن شعور البنوة، ونصفها الآخر ناجم عن الإعجاب بذلك البحار الذي كانه؟ الحب الكبير يصنع معجزته دائما...»**[2].

كان البعد الاستهوائي المتمثّل في عاطفة الحبّ عاملا مرسلا ومساعدا في دفع وتحريك الذّات نحو الإنجاز «**أوّل معجزة وقعت في هذا الكون كان دافعها الحبّ. فهذا السرّ يجترح أعجوبته بعمل خارق عمل يسمو عن مقاييس الممكن، ويستهين بالمستحيلات ويتّصف بالجنون الذي هو أحد مظاهر الحبّ والشّجاعة، لقد كان حبّي لوالدي جارفا إلى درجة أنّ شخصيّته**

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 30.

[2]– المصدر نفسه، ص 305.

ظلّت تسيطر علي طوال حياتي، وظلّت الرّغبة في ألا أخونه قولا وعملا تحكم تصرفاتي...»[1]. وتلازم عاطفة الحبّ عاطفة الخوف في تقدير الخطر حيث نجده يقول: «**لقد دفعتني حمية الشّباب إلى اعتبار عملي مغامرة نادرة الوقوع كان شعورا ينتابني: الخوف والمبالغة في تقدير الخطر لتبرير الخوف**»[2] .

نجد أن الذّات تنتقل من حالة عدم المعرفة إلى حالة المعرفة بفقدان والده في البحر في البعد المعرفي، كما أنّنا نجد أنّ الذّات تنتقل من حالة الانفصال عن الموضوع البحث عن والده إلى حالة الاتّصال بالموضوع بمعرفة مكانه في الباخرة الغارقة، ويمكن تمثيل التّحول الاتصالي للموضوع كما في الصّيغة الآتيّة:

$$(ذ1 \cup م) \longleftarrow (ذ1 \cap م)$$

وتكون بداية البرنامج السّردي المساعد للذّات بعد اكتشاف "سعيد" غرق والده الذي انتقل من وضعيّة (الحياة) إلى وضعيّة مضادّة لها (الموت) في هذه الباخرة الغارقة، فيتحدّد بذلك الانتقال المعرفي "لسعيد" الذي انتقل من ذات فعل من خلال فعل الإنجاز إلى ذات حالة من خلال شعور "سعيد" بالخوف لمعرفة غرق والده. ويبقى العامل المعارض للذّات في مهمّة البحث والغطس هو تلوّث الماء «**ماء بارد عكر، وكانت فيه رائحة، كان صدري**

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 306.

[2]– المصدر نفسه، ص ن.

يضيق من كثافة الرائحة لقد بذلت مجهودا كبيرا»[1]، غير أنّ الذّات العاملة "سعيد" مصمّمة على إيجاد الجثّة.

1 -1-2- الكفاءة:

الكفاءة هي تلك الشّروط التي يجب أن تمتلكها الذّات العاملة والتي تؤهّلها لتحقيق الموضوع العثور على الجثّة، وتهدف الكفاءة لإبراز (كينونة الفعل). إذ تتمظهر بامتلاك الذّات الخبرة على الغطس وحبس النّفس والسّباحة لساعات، حيث ينزل إلى البحر للبحث كما في قوله: « **نزلت الماء ومعي بحاران... وكان البحاران على جانبي، يملكان مثلي رشاقة السباحة السّطحيّة، ويرسلان زنديهما في حركة اندفاع انسيابيّة، ونحن نتقدّم في صف واحد (...)، وكلّ منّا يفكّر... بالمهمّة الصّعبة، ويتمنّى في نفسه لو يكون البحر كيّسا معنا ويبقى هادئا *كحاله* الآن إلى أن نعثر على الجثّة التي أكدّ البحّارة أنّها في عنابر الباخرة»**[2]. وتتحدّد الكفاءة في البرنامج السّردي المساعد للذّات بعد تحديد اللّحظة الأولى لتحوّل الفعل، وذلك بتحديد القيّم الجهيّة للفعل، والمتمثّلة «في أربعة جهات كما حدّدها "غريماس": [الإرادة (**Vouloir**)، والواجب (**Devoir**) والقدرة (**Pouvoir**) والمعرفة (**Savoir**)]، وهيّ جهات للكفاءة محدّدة لملفوظ الفعل وملفوظ الحالة»[3].

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 310.

[2]- المصدر نفسه، ص 298،300.

[3]- Voir, Algirdas Julien Greimas, Du sens II, P: 76 , 77.

وتتمظهر جهات الفعل للموضوع (البحث لاستخراج الجثّة) من خلال الجهات المضمرة، وهي: (إرادة الفعل، وواجب الفعل) المحددة للتّأسيس والجهات المحيّنة وهيّ: (معرفة الفعل، وقدرة الفعل) المحدّدة للتّأهيل وبذلك ترتسم معالم الكفاءة الجهاتيّة على وجود التّأسيس والتّأهيل نحو تحقيق الموضوع.

حيث نجد الذّات تمتلك الإرادة والتّصميم على فعل الغطس والغوص للبحث من خلال الملفوظ: «**أنا ابنه والجرح يؤلم صاحبه، جرحي في صدري ولن يشفيه الكلام، العثور على والدي سيخفّف من ألمي سيجعلني مرتاح النّفس لأنّني قمت بواجبي، البحث سيستمرّ إذن، ولن أتراجع قبل العثور عليه، وهذا قراري..**»[1].

ولعلّ تصميم الذّات العاملة على البحث عن الجثّة زاد من عنادها وعدم الاكتراث بالإرهاق والتّعب الذي وصلت إليه، مما أخاف البحّارة من فقدان "سعيد". فالبحّارة كعامل جماعي مرسل في البرنامج السّردي وذلك بشعورهم بالخوف والتّوتّر والقلق من فقدان "سعيد " إثر مجازفته والغطس مرارا دون مراعاة لتلوّث الماء وصعوبة التنفّس، وهذا ما نجده في الملفوظ: «**عاد البحارة يسألونني: – ما رأيك يا سعيد؟**

– سأتابع البحث.

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 324.

- لكنّك تحتاج إلى جهاز للغوص.

- جلدي يكفيني..

- وهذا الإرهاق الذي يهدّ قواك؟.

- سأتحمّله..

- لا تكن عنيدا... أقلع عن المحاولة....

- ليس قبل أن أعثر عليه (...).

- اذهبوا جميعكم إلى الشاطئ ودعوني وحدي.. لن أترك هذه الباخرة حتّى أعثر على والدي....»[1].

إنّ امتلاك الذّات العاملة الإرادة والواجب على فعل الغوص زاد من تصميها وإصرارها على مواصلة البحث وتحدّي العامل المعارض الطّبيعي المتمثّل في تلوّث ماء البحر، ومن البنية السّرديّة نجد "سعيد" يقول: «**الباخرة شيء آخر علبة الحديد الصدئة الكبيرة الغارقة (..) وسط ماء راكد، بارد مظلم عليّ أن أعتاد الرؤية فيه أن أتحمّل ما فيه من تلوّث ورائحة عفنة أن أمرق منه إلى غيره مكتشفا طريقي بصعوبة ...»**[2].

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 324، 325.

[2]– المصدر نفسه، ص 304.

فتتحدّد الجهات المضمرة للفعل من إرادة الفعل من المؤشّر الانفعالي **(سأتابع البحث، جلدي يكفيني، سأتحمّل، ليس قبل أن أعثر عليه...)** وواجب الفعل كما في المؤشّر **(...لن أترك الباخرة حتّى أعثر عليه، العثور على والدي سيخفّف من ألمي سيجعلني مرتاح النّفس لأنّني قمت بواجبي البحث سيستمر ولن أتراجع..)**، وهي مؤشّرات سيميائيّة دالّة على امتلاك الذّات العاملة إرادة وواجب الفعل، وهيّ الجهات المضمرة للفعل المحدّد للتّأسيس.

ومن التّأسيس نحو التّأهيل حيث تمتلك الذّات العاملة القدرة والمعرفة للفعل، وهذا ما نجده في الملفوظ السّردي: «**لقد بذلت مجهودا كبيرا عليّ أن أبذل مجهودا أقل، البحّار المتمرّس يبذل مجهودا أقل سيصير هذا حين أعاود الغطس يخفّ انفعالي تزداد ثقتي بنفسي، لا أحتاج إلى الحركات التي قمت بها في المرّة الأولى، كانت حركاتي غير متوازنة وغير ضروريّة، أفهم هذا، التّجربة تعلّم، أنا أتعلّم من تجربتي لو كان والدي إلى جانبي لأبدى كثيرا من الملاحظات**»[1].

ولعل المؤشّر السّيميائي للقدرة يتجلّى في قوله: **(لقد بذلت مجهودا كبيرا)**، والمؤشّر السّيميائي للمعرفة في قوله: **(التّجربة تعلّم، أنا أتعلّم من تجربتي)**، فالقدرة والمعرفة للفعل تحدّد التّأهيل نحو التّحقيق، والإنجاز ويمكن أن نمثّل ذلك في الجدول الآتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 310.

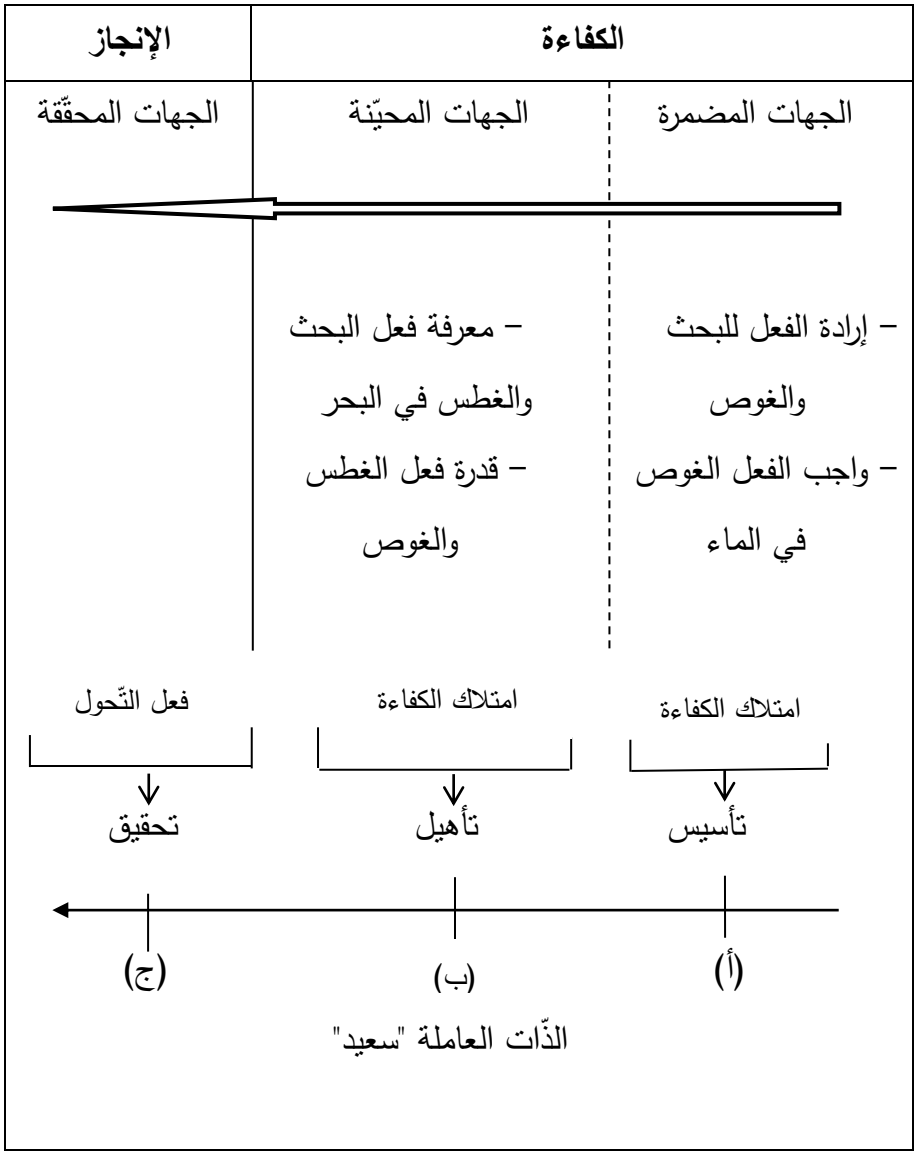

فالكفاءة تتأسّس بامتلاك الذّات للعناصر الجوهريّة التي تشكّل جهات الفعل المضمرة والمحيّنة نحو تحقيق الموضوع.

1-1-3- الإنجاز:

ويمثّل الإنجاز (فعل الكينونة)، فهو مرحلة التّنفيذ والشّروع في العمل. وعمليّة البحث لا تتمثّل في الغطس فقط، وإنّما تتعرّض الذّات إلى عوائق أخرى تحت البحر، فتكون بذلك المهمّة صعبة على الذّات العاملة في مواجهة العامل المعارض الطّبيعي المتمثّل في تلوّث الماء الذي يسبّب صعوبة في الغطس والتّنفس كما في قوله: «**اتّجهت يمينا نزلت إلى قاع العنبر، انطلقت على ارتفاع خفيف منه تابعت انطلاقي، اعترضتني الصّفائح على الأعلى مررت أمام صفوفها (...) شعرت بثقل الماء حول أذني *أوشك* نفسي على النّفاذ تحمّلت الضّغط، زدت من اندفاعي، أحسست بالإرهاق .... يجب أن أصعد... الضّغط يزداد من عزم صعدت عموديّا... أنا فوق الماء وفتحت فمي كسمكة تموت... وهرع البحاران لنجدتي...**»[1]. «**انقضت دقائق قبل أن يهدأ خفقان قلبي، حين يختنق الإنسان يشعر بثقل رصاصي على صدري... لم أتكلّم بالرّغم أنّني استرحت، أدركت الآن لماذا لا يتكلّم الغطّاسون عقب صعودهم من الماء الرّاحة والكلام لا يتّفقان (...) الغطّاس يتعلّم الصّمت بحبّه يجد فيه راحته ...**»[2].

وفي المقابل يقف عامل مساعد طبيعي آخر ليسهّل عمليّة إنجاز الذّات العاملة، ويتمثّل في زوال الغاز الذي كان يطفو على سطح الماء بفعل أمواج

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 315.

[2]- المصدر نفسه، ص 316.

الشّتاء والرّياح العاصفة، وفي ذلك نجد الملفوظ السّردي «... **من الخير أنّ وقتا طويلا قد مضى على احتراق الباخرة وغرقها، هذا أدّى إلى زوال الغاز الذي يطفو على السّطح، أمواج الشّتاء والرّياح العاصفة، وتجدّد الميّاه في العنابر نظفها من المواد النّفطيّة التي تسرّبت من الصفائح والمحركات لولا ذلك لكان النّزول إليها مستحيلا يختنق السبّاح إذا اقترب من بقعة نفطيّة حتّى الأسماك تموت**»[1].

ويمثّل البحّارة أيضا عاملا مساعدا في دفع الذّات العاملة "سعيد" للإنجاز، وذلك من خلال البعد الاستهوائي المتمثّل في خوف البحّارة على فقدان "سعيد" أثناء عمليّة غطسه؛ ممّا جعلهم يقدّمون المساعدة، إذ يقول له أحد البحّارة «**إذا كنت مصرّا على البحث فسنبق معك (...) شرط ألا تجازف كما فعلت في المرّات السّابقة... ضع السّلامة في حسابك... لا ترهق نفسك بغير طائل... أن تغوص على دفعات، خير من أن تعرّض حياتك للخطر دفعة واحدة**»[2]. مما جعل "سعيد" يقول في نفسه «**إنّني أفهم خوف البحّارة عليّ كل ما قالوه صحيح**»[3].

وتتصاعد وتيرة الخوف لدى البحّارة أثناء مشاهدة "سعيد " مرهقا جاهدا نفسه في الغطس ثمّ الصّعود إلى سطح الماء ثمّ العودة إلى الغطس مرّات ممّا دفعهم إلى تقديم المساعدة بالغطس معه، وذلك كما في المقطع السّردي

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 320.

[2]– المصدر نفسه، ص326.

[3]– المصدر نفسه، ص ن.

«صرت أغوص وأخرج إلى السّطح بسهولة، وتجرأ بعض البحّارة فغاصوا أيضا أصبحت قائد فريق دون طلب، لم يقتنعوا مني بالكف عن الغوص استأنست بهم تشجّعت أكثر بوجودهم (...) نشطنا جميعا الفرد ينشط مع الجماعة، دبّت فينا الحماسة كدنا ننسى الخطر (...) ومضى وقت طويل دون أن نعثر على الجثّة»[1]. لقد كان البحّارة عاملا جماعيّا بشريّا مساعدا للذّات العاملة "سعيد" في عمليّة الإنجاز، ولعلّ العامل المحرّك فيهم هو الشّعور بالخوف على "سعيد" أثناء عمليّة غطسه، وهذه المساعدة كان لها بعدا استهوائيّا آخر يتمثّل في بثّ روح الحماسة، والنّشاط للذّات في مواصلة البحث وذلك من خلال المؤشّر **(استأنست بهم، تشجّعت أكثر بوجودهم، نشطنا جميعا، الفرد ينشط مع الجماعة، دبّت فينا الحماسة).**

وكما نجد عاملا مساعدا استهوائيّا آخر يتمثّل في حقد الذّات على فرنسا وكرهه الشديد لها: «**استعدت مشاعر الحقد على السّلطة، كنت بحاجة إلى هذه المشاعر، الحقد على العدو وقود داخلي، جسمي بحاجة إلى هذا الوقود لقد قاوم والدي السّلطة بما استطاع، مات شهيدا في سبيل الحيّ**»[2]. فالشّعور بالحقد على السّلطة والشّعور بالحماس والنّشاط مع البحّارة والشّعور بالخوف من الفشل في استخراج الجثّة كلّها أهواء ساعدت في تفعيل الذّات ودفعه إلى عمليّة الإنجاز والغطس لمرّات عديدة، والبحث عن الجثّة.

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 328.

[2]– المصدر نفسه، ص 327.

وبعد عمليّة الغطس المتكرّرة والتي استغرقت ساعات وأيّاما تنجح الذّات العاملة "سعيد" في تحقيق الموضوع (العثور على الجثّة)، وبذلك يكون نجاح البرنامج السّردي الرّديف المتمثّل في (الغطس لمرّات عديدة). كما في الملفوظ السّردي: «**انطلقت على سطح الباخرة، والبحّارة من حولي، سبحت قليلا على ظهري ... وبقفزة واحدة صرت تحت الماء....غصت.. في خطّ مستقيم... وعندئذ حدثت المفاجأة، زوال أسود طويل لاح لي عند الطّرف الأيمن، تحوّل بينه وبين الخروج من الفجوة، عارضة خشبيّة، مددت يدي اضطررت إلى تخطّي الفجوة والخروج لا مجال للمجازفة.... أخبرت البحّارة بما رأيت... كنت في حالة من تضارب هل علي أن أبكي؟ هل علي أن أفرح؟ هل العثور على الجثّة يذهب بالحزن الذي سبّبه الموت؟...**»[1].

وبذلك تكون الذّات العاملة "سعيد" بعد العثور على الجثّة قد حقّقت الموضوع في البرنامج السّردي المساعد، ويمكن تمثيل ذلك في الصّيغة الآتية:

(ذ1 ∪ م (العثور على الجثّة)) ⟵ (ذ2 ∩ م (العثور على الجثّة)).

وبعد العثور على الجثّة نجد الذّات العاملة "سعيد" تمتلكها حالة من الحزن الشّديد، إذ العثور على الجثّة يعزّز موت والده، و"سعيد " كان يأمل عكس ذلك في داخله، وهذا ما يتجلّى لنا في المقولة السّرديّة: «**وقلت للبحّارة: – كيف أفعل؟ إنّه هناك... لمسته بيدي.... ولن أعود إلى البيت دونه (...) لقد تأكّدت الآن أن والدي قد مات، أيّ شعور ينتاب المرء حين يعرف أنّ أباه**

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 334.

قد مات !؟... ولم يتفوّه البحّارة بكلمة، وجموا أمام حقيقة الموت، كانوا مثلي يغذون *أملا كاذبا*، وها هو الواقع القاسي يهزم ذلك الأمل، وقال واحد منهم (لقد مات صالح حزوم... مات زينة الرّجال)!»[1].

نلحظ انتقال الذّات العاملة إلى ذات حالة بتحوّل من حالة الجهل إلى حالة المعرفة بمكان الجثّة واكتشاف الحقيقة، وهو ما يمثّل البعد المعرفي الإدراكي للذّات العاملة "سعيد" أثناء عمليّة الإنجاز ويمكن أن نعبّر عن ذلك بالشّكل الآتي:

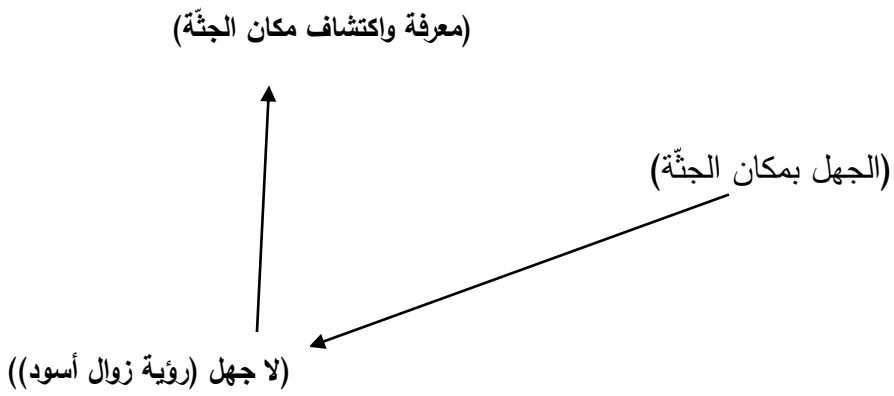

وتتمثّل عمليّة الإنجاز في الغطس وهذه المرّة بمعرفة مكان الجثّة بالتّحديد عكس المرّات السّابقة كان الغطس عشوائيّا والبحث في أماكن مختلفة دون تحديد ومعرفة مكان الجثّة، لذلك كان الهدف واضحا أمام الذّات العاملة "سعيد" في الغطس لاستخراج الجثّة «..**إنّها وراء فجوة الجدار سألني البحّار الفتى:**

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص335.

– أغوص معك؟ ألا تحتاجني تحت؟.

– ليس بعد... ليس قبل أن أخرج الجثّة من المكان المحصورة فيه...

– وهل تستطيع إخراجها وحدك؟ (..).

وقال أكبر البحّارة سنا:

– حاذر أن تخاطر ... لقد بلغنا النّهاية ولا شيء يتطلّب العجلة....

– أنا مضطرّ لبعض المخاطرة.. الجثّة وراء جدار العنبر وعليّ أن أكون داخل الفجوة (...) انتظروني...

– قلت ذلك وغصت...»[1].

إلاّ أنّ الذّات العاملة أثناء عمليّة استخراج الجثّة من الباخرة الغارقة قد عرفت بعض من العراقيل والصّعوبات، إذ كان العامل المعارض في عمليّة الإنجاز هو وجود اللّوح الخشبي والظّلام. ممّا دفع الذّات إلى مقاومة اللّوح الخشبيّ، لاستخراج الجثّة «**صرت أعرف طريقي دون جهد: الضّوء ما زال جيّدا في العنبر غير أنّ الجدار يحجبه من الدّاخل، ذلك اللّوح الخشبي هو الذي يسدّ الطّريق على الجثّة، إذ انتزعته هان الأمر... بحثت منذ ولوجي الفجوة عن اللّوح أمسكته وشددت، كان ثابتا في مكانه، هززته فاهتزّ بين يدي، أدركت أنّه ليس مسمّرا عاودت الكرّة فلم أستطع انتزاعه فكّرت أن أرفعه**

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 338.

إلـى الأعلـى كانـت هـذه محاولـة جيّـدة، ارتفـع اللّـوح دون أن يغيّـر مكانـه كان لوحا طويلا، ليس من السّهل تغيير مكانه، ولم يعد نفسي كافيّا فانسحبت خرجت وحكيت للبحّارة عمّا جرى معي...»[1].

يشكّل الملفوظ السّردي تصوير العامل المعارض أثناء عمليّة الإنجاز وهـو (اللّـوح الخشـبيّ) ممّـا يـدفع بالـذّات العاملـة إلـى إبعـاد هـذا اللّـوح أولا ثمّ العودة إلى استخراج الجثّة «**غصت من جديد (..) دخلت الفجوة رأسا (..) أمسكت باللّوح ودفعته إلى الوراء، اندفع معي، ولكن لم يسقط (...) كيف فاتني أنّه خشب ولم يسقط؟. خرجت من الفجوة ثمّ إلى السّطح.... هرع البحّارة إلي. تساءلوا بصوت واحد:**

- ماذا جرى؟ سحبت اللّوح؟.

- أسقطته....

- انتهى الإشكال؟..

- لا لم ينته.... عام اللوح ثانية»[2].

كـان التّعـب والإعيـاء والخـوف عـاملا معارضـا أمـام مواصـلة الغطـس لاستخراج الجثّة «**غصت من جديد... تقرّحت عيناي من الملح أحسست بحرقة فيهما مع ذلك فتحتهما جيدا (...) نحيت اللّوح الخشبي، دفعت الجثّة**

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 339.

[2]- المصدر نفسه، ص 340.

العائمة على ظهرها باتجاه الفجوة لم تخرج جاءت بشكل عرضاني اصطدمت القدمان بالجدار، ارتدت إلى الوراء وخابت المحاولة (...) لم يعد لدي من النّفس ما يسمح بإعادة الكرّة أنا مضطرّ إلى الخروج لاحظت أنّني بدأت أتعب، الطّاقة الجسدية لها حدود من الصّباح وأنا أغوص أنهكتني الغوصات المتتابعة، فكّرت أن أؤجّل إخراج الجثّة إلى الغد أخذ الإعياء يلوي من شكيمتي صار يؤثّر على قراري اندفعت إلى العنبر.... وخرجت..»[1].

وكما قاومت الذّات العاملة "سعيد" العامل المعارض (اللّوح الخشبي) قاومت أيضا الخوف والتّعب وذلك من خلال انفتاح ذاكرة "سعيد" على الماضي، واستحضار كلام والده حيث نجده يقول: «**كان والدي يقول: (ليس المهمّ ألا نخاف المهمّ أن نقاوم الخوف، ليس المهمّ ألا نتعب، المهمّ أن نقاوم التّعب ولقد قاومت الخوف والتّعب**»[2]. ويشّكل الخوف هنا عاملا معارضا استهوائيّا أمام مواصلة الذّات عمليّة الإنجاز، وأمّا التّذكّر واستحضار كلام والده فيشكّل عاملا مساعدا في مقاومة الخوف والتّعب ومحفزا نحو مواصلة عمليّة الإنجاز.

ولعلّ تحقيق الموضوع (استخراج الجثّة) ومواصلة عمليّة الإنجاز نحو نجاح البرنامج السّردي، يتم بامتلاك الذّات الكفاءة من خلال وجود القدرة والتّصميم على إنجاز المهمّة «**اتّخذت قراري، مواصلة الغوص، إذا لم أخرج**

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 341.

[2]– المصدر نفسه، ص 343.

الجثـة فسأضـلّ معهـا فـي البـاخرة، ربمّـا قـذفها المـوج إلـى الـدّاخل غـدا ربمـا فرضت الشّرطة حراسـة علـى البـاخرة عندئـذ يضـيع كـلّ شـيء، يتسبّب ضعفي في فقدان جثمان والدي، عليّ أن أنجز مهمّتي اليوم، البحّارة أوكلوا إلـيّ هـذه المهمّـة»[1] (...)،«قلـت للبحّـارة: لـن أبـرح البـاخرة قبـل إخـراج الجثّـة»[2] «العنـاد فـي الصّراع ضروري (...) يعنـي ذلك الموت أو الانتصار أنا لن أموت، سأنتصر، سأنتزع الجثّة وأخرجها (...) لا أريد الهزيمـة لنفسـي لـيكن... المـوت ولا الهزيمـة...»[3]، «رفعـت يـدي إشـارة للبحّـارة (...) فإمّـا أن ألحـق بوالـدي أو أخـرج بجثّتـه إلـى السّطح (...) غصـت ... خيّـل إليّ أنني ذاهب إلى المعركة، آتيك أيّها البحر...»[4].

بعد المحاولات المتكرّرة للغطس نجح البرنامج السّردي المساعد للذّات العاملـة فـي عمليّـة الإنجـاز باسـتخراج الجثّـة إلـى السّـطح، كمـا فـي الملفـوظ **«اجتزت الفجوة، اللّوح الخشبي عاد إلـى مكانـه دفعتـه إلـى الأعلـى كـان لصـق السّـقف مـددت يـدي وشـددت الجثـة، غـاص الـرأس، دفعتـه باتجـاه الفجـوة لم يصل إليها أمسكت الجسم جذبته إلى تحت، دفعته باتّجاه الفجوة من جديد ارتطم بالحافّة، ارتطمت إلى الأعلى وسحبته ورائي، أنـا خـارج الفجوة والجسم يتبعنـي (...) واصـلت السّـحب صـار الجسـم طيعـا تخلـصّ مـن ربقـة الفجـوة**

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 346.

[2]– المصدر نفسه، ص ن.

[3]– المصدر نفسه، ص 348.

[4]– المصدر نفسه، ص352.

أصبح في العنبر، تركته يعوم، ارتفعت إليه وعمنا معا، ضاق نفسي (...) قررت الخروج، خرجت كسهم تلقّفني البحّارة، وسمعت بعد قليل صراخهم: - خرجت الجثّة!»[1].

نجد أن نجاح "سعيد " في إنجاز برنامجه السّردي سمح له بأن ينتقل من حالة الانفصال عن الموضوع (استخراج الجثّة) إلى حالة الاتصال بالموضوع، ويمكن تمثيل ذلك في الصيّاغة الآتيّة:

(ذ1 ∪ م (العثور على الجثّة)) ⟵ (ذ1 ∩ م (العثور على الجثّة)).

إلاّ أنّ الذّات العاملة تكون ذاتا استهوائيّة، بعد استخراج الجثّة تنتابها حالة من الشّعور بالحزن الشّديد، وإحساس قويّ باليتم «**ران عليّ ما يشبه الوجوم، لأوّل مرّة بعد غيّاب طويل، ألتقي والدي كنت أنتظر اللّقاء على نحو آخر، فإذا القدر يشاء أن ألقى جثّته بدلا عنه.... أصبحت يتيما فجأة، أحسست باليتم إحساسا مضنيّا هو ذا والدي... أخيرا لو لم أجده لعشت ولو *أملا كاذبا*. الآن أنا والحقيقة، أنا والجثّة وغدا أكون وحيدا أفارقه إلى غير لقاء..»**[2].

إنّ حالة التعب والإعياء والحزن والإحساس باليتم حالت دون أن ينتبه "سعيد" إلى هويّة الجسم أثناء العثور عليه تحت الماء، فبعد استخراج الجثّة كانت المفاجأة في انتظار الذّات العاملة.

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 354.

[2]- المصدر نفسه، ص،ن.

ويمكـن أن نوضّـح العوامـل السّـرديّة المتضـافرة فـي البرنـامج السّـردي للذّات العاملة "سعيد" كالآتي:

استخراج الجثّة والأمل في إيجاد والده على قيد الحياة

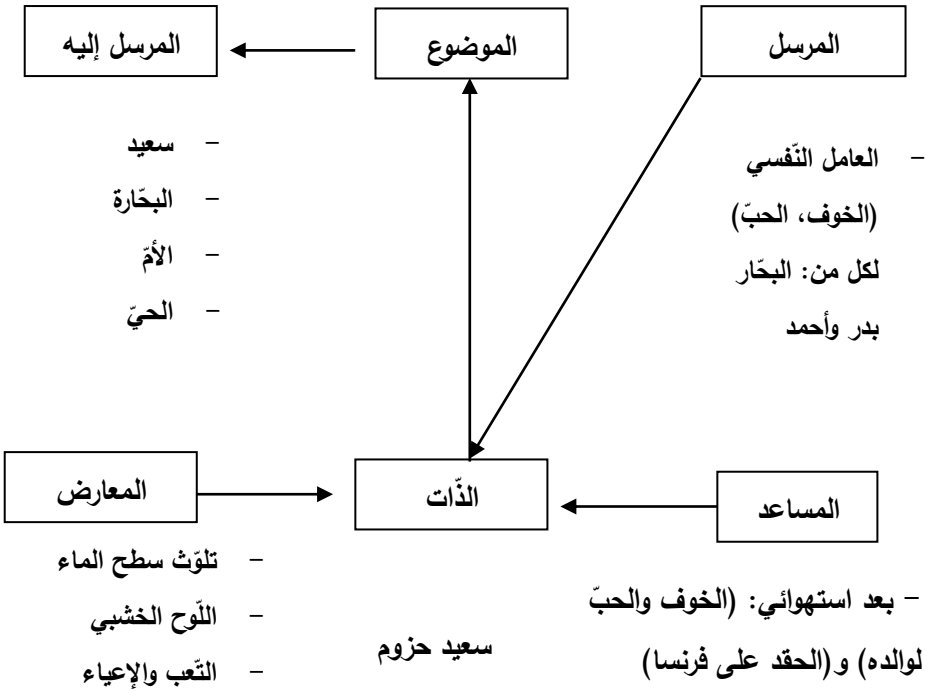

1-1-4- الجزاء: يعدّ الجزاء آخر أطوار الخطاطة السّرديّة وهو (كينونة الكينونة) حيث يتمّ تقويم الفعل المنجز من طرف الذّات العاملة (سعيد)، فبعد المعاناة في استخراج الجثّة وجدنا الذّات تنتقل من وضعيّة جهل لهويّة الجثّة إلى وضعيّة معرفة واكتشاف (هويّة الجثّة)، كما في المقولة السّرديّة: «**رأيتهم ينحنون فوقه ويتأمّلونه، وصاح أكبرهم سنا: سعيد! هل رأيت الجثة وأنت في العنبر؟**

- لا !!

- إنّها

- ماذا؟

- لا شيء...

خفــق قلبـــي بشـــدّة، لا أدري أيّ نـــوع مـــن الشّـــعور ســـيطر عليّ، كان صوت البحّار مرتعشا (....) فتساءلت في شيء من عودة الأمل: هل مازال حيّا؟، وهتفت في ذات نفسي: (يا إلهي! هل يعقل أن يكون حيّا)؟ (...)، وحين وصلت كانت تنتظرني هذه المفاجأة:

- الجثّة ليست لوالدك!

- كيف!؟.

- أنظر...

- نظرت!!

يا للهول! كانت الجثّة لبحّار غريب!...»[1].

إنّ اكتشاف هويّة الجثّة جعل الذّات سعيد تتمسّك بأمل في (العثور على والده قيد الحياة في مكان ما)، ومنه ينتقل الذّات سعيد من وضعيّة البحث في البعد المعرفي من الاعتقاد بموت والده (الجثّة) في الباخرة الغارقة إلى وضعيّة الاعتقاد بأنّ والده على قيد الحياة في مكان ما، وبذلك انتقل

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 354. ص 357.

موضوع (البحث عن صالح حزوم) من وضعيّة الاعتقاد بموته إلى وضعيّة الاعتقاد بوجوده على قيد الحياة.

حيث نجد "سعيد حزوم" يقول: «**لم أعثر على أبي... أنا واثق أنّه في البحر، لم أجده حتّى الآن، والدي... احتجب في مكان ما في البحر هو لم يغرق لو غرق لوجدته في الباخرة، لقد عدت إليها في اليوم الثّاني وما بعده وظللت أعود إليها وأغطس في أعماقها حتى مشطت هذه الأعماق وتأكّدت أنّ جثّة والدي ليست فيها، (...)، إنّ والدي حيّ لا يموت بهذه السّهولة..**»[1].

كان العثور على جثّة رجل غريب مفاجأة "للبحّارة" و"لسعيد" إذ نجده يقول: «**البحر كالقدر، كثيرا ما يدور بالإنسان يخدعه، ويضحك عليه، البحر ضحك عليّ، خدعني دار دورات طويلة وبدلا من جثّة والدي بعد ذلك الكفاح الطّويل، أعطاني جثّة غريبة، مشوّهة ممسوخة**»[2] (..) «**حين فوجئت ذلك المساء، أنّ الجثّة ليست جثّة والدي وليس الجثّة التي بحثنا عنها إلى درجة التّضحيّة بأنفسنا لإخراجها، كنت أمام خيارين: الاستسلام إلى التّعب واليأس من العثور على الجثّة أو المقاومة والاستمرار في البحث**»[3]. نجد نجاح البرنامج السّردي ومهمّة أو عمليّة الإنجاز التي قام

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، منشورات دار الآداب، بيروت، ط1 1982، ص 13.

[2]– المصدر نفسه، ص 14.

[3]– المصدر نفسه، ص ن.

بها الذّات العاملة "سعيد" باستخراج الجثّة إلى سطح الماء بعد ذلك الكفاح الطّويل والمقاومة الشّديدة للذّات إلاّ أنّه فشل في تحقيق الموضوع القيمة لديه باكتشاف هويّة الجثّة أنّها ليست "لصالح حزوم".

ويتجلّى البعد الاستهوائي في طور الجزاء بشعور الذّات الاستهوائيّة "سعيد" بالخيبة والأمل في آن كما في المقطع السّردي: «**فيما أنا أحدق في الجثّة الغريبة، وفي داخلي شعوران من حزن وفرح، من خيبة وأمل ولم يلبث الأمل أن فاض في الذّات وخدعها، كانت ذاتي مستعدة لأن تخدع ما دام ذلك يعيد إليها الرّجاء..**»[1] (...)، «**لن أدع والدي في قاع الباخرة – هذا إذا كان في الباخرة... لم أجب... كنت في سري أمارس أملا في ألاّ يكون فيها..**»[2].

ونجد الذّات الاستهوائيّة "سعيد" تستشعر الفشل لعدم العثور على والده «**أنا لم أنجح في شيء لم أعثر على جثّة والدي**»[3]. وبذلك يمكن رصد فعل التّحوّل للذّات من ذات عاملة إلى ذات حالة في المسار الاستهوائي للبرنامج السّردي المساعد، فمن وضعيّة هادئة مستقرّة في البيت إلى وضعيّة متوتّرة قلقة مضطربة وخائفة أثناء سماعه بالخبر ثم نجد الذّات العاملة "سعيد" تنتقل من وضعيّة عدم الاقتناع والمعرفة في البعد المعرفي والإدراكي إلى وضعيّة الاقتناع والمعرفة لحالة غرق والده ممّا دفع ذلك إلى تحريك وتوتير الذّات

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص15.

[2]– المصدر نفسه، ص 16.

[3]– المصدر نفسه، ص 20.

للبحث والعثور على الجثّة في البرنامج السّردي المساعد (استخراج الجثّة) والذي بنجاحه كان تمهيدا لنجاح البرنامج السّردي المعرفيّ، والمتمثّل في (الاعتقاد بموت والده)، وكان اكتشاف الذّات الحقيقة بمعرفة هويّة الجثّة التي انتقلت من حالة (الظّهور) وهو الاعتقاد بموت والده إلى حالة (الكينونة) واكتشاف الجثّة بأنّها ليست "لصالح حزوم" بل لبحّار غريب (جندي فرنسي) فيأمل سعيد بعد ذلك في إيجاد والده على قيد الحياة في مكان ما، ويمكن أن نوضّح ذلك في المربّع التّصديقي كما في الشّكل الآتي:

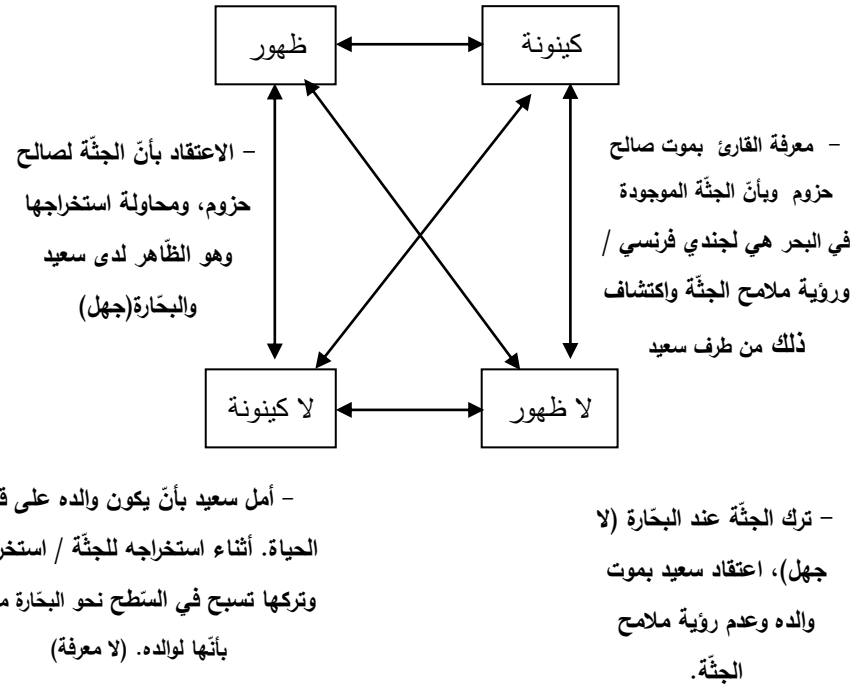

حيث توضّح لنا أركان المربّع التّصديقي (الكينونة) وذلك بمعرفة القارئ بموت "صالح حزوم" وبأنّ الجثّة الموجودة في البحر هي (لجنديّ فرنسيّ)

وهيّ الحقيقة في باطن البنيّة السّرديّة والتي اكتشفها فيما بعد كلّ من "سعيد" و"البحّارة" بعد رؤية ملامح الجثّة وهيّ حالة (معرفة)، وأمّا في ظاهرها (ظهور) نجد محاولة استخراج الجثّة من طرف "سعيد" معتقدا بأنّ الجثّة لصالح حزوم وهيّ حالة (جهل) إلى (لا كينونة) أثناء البحث تحت البحر حيث يأمل "سعيد" بأن يكون والده على قيد الحياة ثمّ استخراج الجثّة وتركها تسبح على السّطح وهيّ حالة (لا معرفة) إلى (لا ظهور) إذ نجد "سعيد" معتقدا في البعد المعرفي بأنّ الجثة "لصالح حزوم" حيث قام بعد استخراجها بعدم رؤية ملامحها وتركها تسبح في السّطح نحو البحّارة الذين تلقوا بدورهم الجثّة وتركوا "سعيد" يرتاح من التّعب وهيّ حالة (لا جهل)، فيكون البحّارة عامل مرسل إليه مؤوّل للفعل المنجز من طرف الذّات، حيث اكتشفوا أنّ ملامح الجثّة هي لرجل غريب (جنديّ فرنسي)، وقاموا بإخبار الذّات العاملة "سعيد" بذلك، فتنتقل الذّات من حالة (جهل) لعدم رؤية ملامح الجثّة تحت البحر وفي الاعتقاد بأنّها لوالده إلى حالة (المعرفة) واكتشاف هويّة الجثّة بأنّها (لجنديّ فرنسي) بعد رؤية ملامحها، وهنا تنتقل الذّات الاستهوائيّة من هوى الخيبة بالاعتقاد بموت والده إلى هوى الأمل بالاعتقاد بأنّ والده على قيد الحياة والأمل في العثور عليه.

ويكون الجزاء في البرنامج السّردي المعرفي بأبعاده الثّلاثة: (بعد معرفي وبعد تداولي، وبعد استهوائي)، فالمعرفي باكتشاف ما هو ظاهر في البنية السّرديّة ومعرفة أنّ الجثّة التي استغرقت أيّام للبحث كانت لرجل غريب (جندي فرنسي)، والبعد التّداولي من خلال وجود تقييم البحّارة (العامل المرسل إليه) و"سعيد" (الذّات العاملة) الفعل المنجز وذلك بشعورهم بالخيبة في اعتقادهم

بغرق "صالح حزوم"، والبعد استهوائي وذلك أثناء شعور الذّات الاستهوائيّة "سعيد" بالخيبة لفشل عمليّة الإنجاز المتكرّرة لأجل جثّة رجل غريب (جندي فرنسي) والشّعور بالأمل بالاعتقاد أنّ والده مازال على قيد الحياة. وهو الأمر الظّاهر في البنية السّرديّة وفي باطنها هو معرفة القارئ والمؤلّف بموت "صالح حزوم" وهي الحقيقة الكامنة في البنية السّرديّة.

ولا ينتهي طور الجزاء في البرنامج السّردي للذّات "سعيد" باكتشافه أنّ الجثّة ليست لوالده، بل تتطوّر الأحداث ممّا يجعل دخول عامل معارض جديد متمثّل في "السّلطات الفرنسيّة" التي قامت باعتقال "سعيد حزوم" كما في قوله: «**فقد قادوني إلى النّظارة، وعذّبوني كثيرا كي أخبرهم أين والدي ولما كنت أجهل مكانه، فقد ذهبت جهودهم سدى, وفي اليوم التّالي أطلقوا سراحي...**»[1]. ومن الملفوظ نجد أنّ السّلطات الفرنسيّة قامت في البداية باستجواب "سعيد" عن والده، وحين فشلوا أطلقوا سراحه بعد تعذيبه، وفي المرّة الثّانيّة قاموا باعتقاله بدلا عن والده ولأجل الجثّة التي قام باستخراجها من الباخرة الغارقة «**واعتقلوني ثانيّة قلت للمحقّق كل هذا لكنّه لم يقتنع، أمر بسجني، وفي هذه المرّة توسّع معي في التّحقيق وفتح دفتر الجثّة الغريبّة واعتبروني مسؤولا عن بحّار فرنسي غريق (كيف؟ – قلت له – الجثة كانت في الباخرة. والباخرة غرقت قبل عام كامل؟)، وقال المحقق: (أنت وجدتها بعد هذا العام وأنت مسؤول عنها... كان يجب أن تحافظ**

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 41.

عليها أو تخبر السّلطة بدلا من أن تمثّل فيها وتركتها لوحوش البحر»[1] **(..)، «أنكرت أنّني مثّلت فيها، لكن المحقّق أحالني إلى المحكمة *المختلطة* في حلب، وهناك طالب النائب العام الفرنسي بسجني قائلا: هذه جريمة بحقّ الإنسانيّة الدّافع إليها الكره والوحشيّة ومقاومة السّلطة الفرنسيّة»**[2].

وكان العامل المعارض والمضاد (السّلطات الفرنسيّة) التي انزلقت إلى ذات عاملة لتحقيق الموضوع (سجن "سعيد" لثلاث سنوات) في البرنامج السّردي المضاد، وكان العامل المساعد في البرنامج المضاد هو عثور "سعيد" على جثّة (جنديّ فرنسي) غريق، وكان العامل المساعد "لسعيد" هو وجود المحامي «**ودافع عني أحد المحامين العرب، ودافعت عن نفسي ما استطعت لكن المحكمة كانت فرنسيّة، وكانت فرنسا تستعمر سورية وتريد الانتقام من أبنائها، فحكم عليّ بالسّجن ثلاث سنوات**»[3]. ومنه يمكن تحديد البنية العامليّة للبرنامج السّرديّ المضاد كالآتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 41.

[2]– المصدر نفسه، ص 42.

[3]– المصدر نفسه، ص ن.

إدخال "سعيد" إلى السّجن

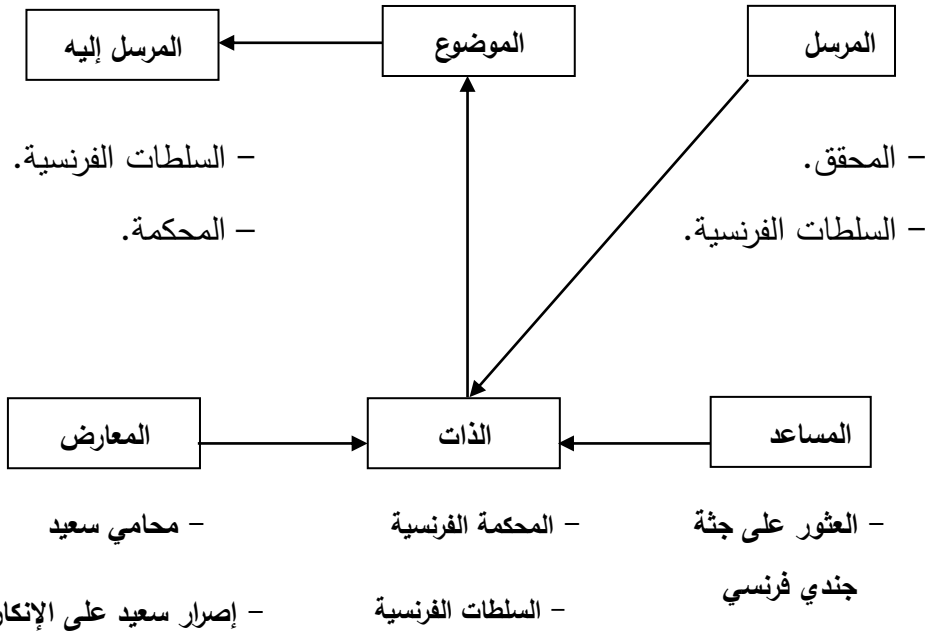

نلاحظ نجاح البرنامج السّردي المضاد بإدخال "سعيد" إلى السّجن والمعيق والمعارض بالنّسبة للبرنامج السّرديّ المعرفيّ للذّات "سعيد" (في مواصلة بحثه عن والده الذي يعتقد بأنّه على قيد الحياة)، وبالمقابل فإنّ البرنامج السّردي المضاد هو جزاء الذّات "سعيد" بعد استخراج الجثّة من البحر في البعد التّداولي، المتمثّل في العامل المعارض (السّلطات الفرنسيّة) والتي قامت بتقييم الفعل المنجز من طرف الذّات باتّهامه بتهمة التّمثيل في جثّة (جندي فرنسيّ)، وكانت العقوبة بـ: (ثلاث سنوات سجنا)، فيكون بذلك انزلاق العامل المعارض السّلطات الفرنسيّة إلى خانة عامل المرسل إليه المؤوّل للفعل إذ نجد الذّات "سعيد" يقول: «**فحكم عليّ بالسّجن ثلاث سنوات، أدركت**

وأنــا أرمــى فــي الزّنزانــة, أنّنــي حكمــت نيابــة عــن والــدي، وأنّنــي فديــة عنه, وأنّ ما اعتزمته يتحقّق فأنا أسلك طريقه في البرّ والبحر معا»[1].

ويمكن ضبط أطوار الخطاطة السّرديّة في البرنامج السّردي للذّات "سعيد" نحو تحقيق الموضوع استخراج الجثّة كما في الجدول الآتي:

التحريك	الكفاءة	الانجاز	الجزاء
فعل الفعل	كينونة الفعل	فعل الكينونة	كينونة الكينونة
– علاقة المرسل البحّار بدر والبحّارة بإخبار الذّات "سعيد" بغرق والده – علاقة المرسل العامل الاستهوائي والبعد المعرفي والبعد التّداولي للذّات.	– علاقة الذّات بالموضوع البحث عن الجثّة بالغطس والغوص لأيام.	– علاقة الذّات بالموضوع القيمة (العثور على والده). – علاقة الذّات بالموضوع (استخراج الجثّة).	– علاقة المرسل البحّارة بالذّات – علاقة المرسل إليه البحّارة والسلطات الفرنسيّة بالذّات – علاقة المرسل إليه البعد الاستهوائي والتّداولي والمعرفي بالذّات.

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 42.

وكما نلاحظ تداخلا في البرامج السّرديّة من البرنامج السّردي الرّئيس "لسعيد"، والبرنامج السّردي المضاد والبديل للذّات "السلطات الفرنسيّة"، ويمكن أن نلخّص ذلك في البرنامج السّردي المضاد كالآتي:

البرنامج السّردي للعامل الجماعي (السّلطات الفرنسيّة)			
البرنامج السّردي	**العامل**	**الموضوع**	**الوضعيّة**
– البرنامج السّردي الرّئيس. – البرنامج السّردي المساعد.	– السلطات الفرنسيّة. – المحكمة. – المحقّق.	– إدخال سعيد للسّجن بدلا عن والده – اعتقال "سعيد" واستجوابه. عامل مساعد: – المحقّق – العثور على جثّة لرجل فرنسي.	– الهيمنة – مقاومة بالإنكار وبوجود محامي. تحوّل.

– البرنامج السّردي المساعد. – البرنامج السّردي الرّئيس.	– السّلطات الفرنسيّة. – السّلطات الفرنسيّة والمحكمة الفرنسيّة.	– توجه سعيد إلى المحكمة الفرنسيّة. – الحكم بثلاث سنوات.	– لامقاومة. –الهيمنة.

نلاحظ نجاح البرنامج السّردي المضاد والمعارض بإدخال "سعيد حزوم" إلى السّجن ثلاث سنوات بدلا من والده الغائب، وما دام أنّ الجثّة اكتشفت بأنّها لبحّار (جنديّ فرنسي) فقد بدأ الأمل يتصاعد لدى الذّات "سعيد" بالعثور على والده قيد الحياة في مكان ما.

ومنه فالجزاء في البرنامج السّردي المعرفي للذّات "سعيد" نحو تحقيق الموضوع (الاعتقاد بموت والده) كان نقطة انطلاق لرحلة البحث من جديد عن والده في المرحلة الثّانيّة وذلك بعد خروجه من السّجن، وهنا نحو الموضوع (الاعتقاد بأنّ والده على قيد الحياة)، وبذلك ينتقل البحث عن "صالح حزوم" من وضعيّة (الموت) إلى وضعيّة (الحياة).

1-2- الخطاطة الاستهوائيّة:

بعد تتبع المسار السّردي لسلسلة الحالات لفعل تحوّل الذّات في البرنامج السّردي سنتتبّع المسار الاستهوائي للذّات الاستهوائيّة، والتي يمكن

دراستها بعد دراسة الخطاطة السّرديّة، فإذا كانت الخطاطة السّرديّة تقوم على وجود أربعة أطوار لفعل التّحول هيّ: (التّحريك، والكفاءة، والإنجاز والجزاء)، فإنّ الخطاطة الاستهوائيّة تتكوّن من مراحل «تبيّن تدرّج الهوى من المستوى العميق إلى المستوى السّطحي»[1]؛ بمعنى من العمق النّفسي الداخلي للذات الاستهوائية إلى المستوى السطحي الخارجي ، وما نلاحظه من تغيّر وتوتر واضطراب جسمي.

ولدراسة الخطاطة الاستهوائيّة للذّات الاستهوائيّة "سعيد" في البرنامج الاستهوائي المتمثّل في (الأمل في العثور على والده على قيد الحياة) نقف على ضبط المراحل الآتيّة:

1- الانكشاف الشّعوري: (L'eveil affectif): ينتاب الذّات الاستهوائيّة "سعيد" شعور بالقلق أثناء سماعه من البحّار "بدر" بأنّ البحّارة يريدونه في أمر هام، يتطوّر إلى حالة من التّوتر والخوف أثناء سماعه للبحّار "أحمد المستكفي" الذي قام بإخباره أنّ والده لم يخرج إلى سطح الماء، وأنّهم كانوا يبحثون عنه ولم يعثروا عليه. فتظهر الذّات الاستهوائيّة "سعيد" متلبّسة بهوى الخوف فالشّعور بالقلق هو «توتّر انفعالي واضطراب نفسي وجسمي»[2] والخوف الذي يظهر على الذّات هو «حالة شعوريّة وجدانيّة يصحبها انفعال نفسي

---

[1]- محمد الداهي، سيميائية الأهواء، ص 236.

[2]- أنس شكشك، علم النفس العام القوى النفسية المعرفية والقوى النفسية المحركة للسلوك ص204.

وجسمي بسبب مؤثر خارجي»[1] –سماع "سعيد" لكلام البحّار"أحمد المستكفي"_ ممّا يولّد الإحساس بالخطر ويظهر وينكشف شعور الخوف على الذّات الاستهوائيّة من خلال الانفعال الجسدي بالحركات والصّراخ كما في الملفوظ: «**صحت وقد *ارتعدت* لفكرة غرقه هل أصابه مكروه.... ضربت على رأسي**»[2]. فيتمظهر الخوف من المستوى العميق الداخلي للذّات الاستهوائيّة إلى المستوى السّطحي الخارجي بتغير الحالة الجسديّة من خلال (صحت، ارتعدت، ضربت على رأسي) فالتّغير بدأ من الحالة النّفسيّة للذّات إلى الحالة الجسديّة لها.

2- الاستعداد (La disposition): تبدأ الوتيرة النّفسيّة للذّات الاستهوائيّة بتصاعد، وذلك بعد الاقتناع بموت والده غرقا أثناء عمليّة استخراجه لتكنات الغاز، «**أدركت أكثر من الجميع بأنّ والدي غرق**»[3]. ويكون طور الاستعداد متعلّق بالذّات الاستهوائيّة "سعيد" من خلال تحديد الكفاءة في الخطاطة السّرديّة فيبرز الاستعداد الاستهوائي من خلال وجود الجهات الأربعة للفعل (الإرادة والواجب، والقدرة، والمعرفة) لفعل الانفعال الجسديّ من حركة واضطراب ويتحدّد الاستعداد من الجهات المضمرة للفعل الاستهوائي (الإرادة، والواجب) المحدّدة للتّأسيس من خلال شعور الذّات بالقلق، والخوف، والحزن، وهيّ الحالة النّفسيّة المؤديّة إلى الاضطراب كما في الجهات المحيّنة للفعل الاستهوائي

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (من حكاية بحار)، ص197.

[2]– المصدر نفسه، ص293.

[3]– المصدر نفسه، ص ن.

(معرفة، وقدرة) الفعل الاستهوائي المحدّد للتّأهيل فيتمظهر لنا التّغير والانفعال على "سعيد" من خلال (الارتعاد، والحركة، والصّراخ، والبكاء، والضّرب على رأسه)، ويمكن توضيح ذلك في الجدول الآتي:

الاستعداد ←		**نحو الفعل الاستهوائي**	
الجهات المضمرة: – إرادة فعل البحث. – واجب فعل البحث والغوص.	**الجهات المحيّنة:** – معرفة فعل البحث. – قدرة فعل البحث والغوص.	**حالة النّفس:** – الشّعور بالخوف والقلق والحزن.	**حالة الجسد:** – انفعال من خلال ارتعاد وحركة وصراخ وبكاء.

3- القطب الاستهوائي (Le pivot passionnel): وهو مرحلة أساسيّة للذّات الاستهوائيّة حيث تدرك معنى الاضطراب الذي تشعر به وتكتشف الصدمة[1] وهنا يكتشف "سعيد" بأنّه يتيم وأنّ والده قد غرق في البحر كما في البعد المعرفي؛ حيث تدخل الذّات مرحلة الحزن الشّديد والشّعور باليتم لفقدان الأب.

4- العاطفة (L'émotion): ونجد عاطفة الحزن الشّديد التي عبّرت عنها الذّات الاستهوائيّة "سعيد" بالبكاء «**إنّه في الباخرة.... والدي ما يزال في الباخرة، وقد مات والدي، وانفجرت باكيًا، وشرعت أركض باتّجاه الباخرة**»[2]. فالبكاء هو تعبير خارجي للحالة النّفسيّة الدّاخليّة للذّات، وتصبح

---

[1]– voir, Jacques Fontanille, S'emiotique et Litt'erature Essais de m'ethode, p: 80.

[2]– حنا مينة، الكتاب الأول (من حكاية بحار)، ص 293.

عاطفة الحزن حدث استهوائي مع عاطفة الحبّ التي جعلته يغطس مرّات عديدة، ولأيّام مقاوما التّعب وتلوّث الماء لأجل استخراج جثّة والده.

5- التقييم الأخلاقي (La Moralization): يتمظهر هذا الطّور من خلال استخراج الجثّة التي اكتشفت الذّات بأنّها لبحّار غريب (جنديّ فرنسيّ)، وكان تقييما إيجابيّا بالنّسبة للذّات، وهو الشّعور الدّاخلي بأمل كذوب في إيجاد والده على قيد الحياة «**وفي أمل كذوب يداعب النّفس الملهوفة رحت أتخيّل والدي سليما**»[1].

وأمّا التّقييم السّلبي فهو متمثّل في دخوله إلى السّجن لثلاث سنوات من طرف السّلطات الفرنسيّة بسبب استخراج الجثّة التي تبيّن أنّها لبحّار غريب (جنديّ فرنسي) وبتهمة التّمثيل فيها.

ثانيا: المرحلة الثانية: البرنامج السردي المعرفي للذات "سعيد" والموضوع (الاعتقاد بأن والده على قيد الحياة والسعي للبحث عنه)، والبرنامج الاستهوائي له (الأمل في العثور عليه):

وتحدّد هذه المرحلة محاولات "سعيد" المتكرّرة نحو الموضوع (السّفر بحثا عن والده)، فكانت هذه المحاولات بمثابة برامج سرديّة مساعدة للبرنامج السّردي المعرفيّ والمتمثّل في (الاعتقاد بأنّ والده على قيد الحياة)، ويمكن الوقوف على البرامج السّرديّة المساعدة للذّات "سعيد" كالآتي:

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الأول (من حكاية بحار)، ص 293.

1- البرنامج السردي المساعد (1): (السّفر على مركب الرّيس عبدوش):
ويقوم البرنامج السّرديّ المساعد (1) على سلسلة من الحالات والتّحوّلات لفعل (السّفر للبحث عن والده)، والتي يمكن الوقوف على جوهرها من خلال ضبط أطوار الخطاطة السّرديّة كالآتي:

1-1- التّحريك:

يبدأ طور التّحريك انطلاقا من اللّحظات الأولى (لفعل الفعل) للذّات "سعيد" نحو تحقيق الموضوع (البحث عن والده) في المرحلة الثّانيّة وذلك بشعور الذّات الاستهوائيّة "سعيد" بوجود أمل في إيجاد والده على الحياة معتقدة بذلك أنّه مفقودا كما في الملفوظ: «**... والدي غائب مفقود، ضاع في البحر.. لكنّه ليس بغريق ولا ميّت.. يمكن أن نقول أيّ شيء إلاّ تلك الكلمة الرّهيبة: مات.. سأقول لأمي: لم أعثر عليه.. معنى هذا أنّ الأمل لم ينقطع قد لا يكون هذا الأمل حقيقيّا، ولا أملا كاملا لكنّه أمل على كلّ حال، إنّه تأجيل للإعلان الفاجع..**»[1].

وكما نجد انتقال الذّات "سعيد" في البعد المعرفي من وضعية الاقتناع بموت "صالح حزوم" إلى وضعيّة الاقتناع بإمكانيّة وجوده على قيد الحياة حيث يقول: «**وعليّ أن أؤكّد أنّ والدي لم يمت... ثمّ إنّه لم يمت حقيقة لو مات أين جثته؟ البحر لا يحتفظ بالجثث فإنّ مصيره ما زال مجهولا وهذا يعطينا الحقّ في أن نقدر في ما نريد، وننتظر ما نشاء... إنّه يسمح**

[1]- حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 20.

لنا، نحن بالذّات أن نثق أنّه ما زال حيّا»[1]. (..) «سأعود إلى هذه السّفينة غدا سأعود يجب أن أتأكّد.... يسرّني ألاّ تكون الجثّة فيها، وأن يظلّ أملي بحياة والدي قائما، لكنّني سأغوص فيها أيضا لكي أعزّز هذا الأمل، أجعله يقينا...»[2].

ونظرا لعدم وجود جثّة "صالح حزوم" في البحر، أدّى هذا إلى اعتقاد "سعيد" بأنّ والده على قيد الحياة، حيث بدأ الأمل يزداد أكثر في البحث والعثور عليه «**لقد غاب والدي في البحر، هذا ما أستطيع تأكيده غاب دون أن يترك أثرا، هو يعرف لماذا لم يترك أثرا، لعلّه فعل ذلك من باب الاحتياط، ليس من عادته أن يفعل ذلك، أن يخفي *أبناءه* عنّا إلى هذه الدّرجة لكنّه شاء ذلك، فليكن ما شاء تظّل إرادته مقبولة...**»[3]. ونجد انتقال "الأم" من وضعيّة الاقتناع بموت "صالح حزوم" إلى وضعيّة الاقتناع بعيشه ولكن ليس بالدّرجة التي اقتنع بها "سعيد" لأنّنا نجدها في النّهاية تعود إلى الاقتناع بموته أمّا "سعيد" فيظلّ يعيش هذا الوهم والهاجس في العثور عليه طوال حياته.

وفي الوضعيّة الأولى الاقتناع بموت "صالح حزوم" نجد الملفوظ: «**وقد شرعت أميّ، منذ رأتني تلطم خديها، وتضرب صدرها، وألقت بنفسها على صدري وهي تسأل: بصوت باك، زاعق:**

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 25.

[2]– المصدر نفسه، ص 25.

[3]– المصدر نفسه، ص 26.

- أين أبوك يا سعيد؟

- أبي سافر في البحر...

- وصاحت مولولة...

- لا، لا.. أبوك غرق... وكنت تبحث عنه... أبوك غرق... أبوك مات (...) يا أمي! يا أمي!.. أبي لم يمت... لم يغرق البحّارة قالوا أنّه ذهب في البحر.

- البحّارة قالوا أنّه غرق... منذ الصّباح قالوا إنّه غرق... وإنّك تبحث عنه...

- بحثت عنه طويلا... لو غرق لوجدته (...).

- البحر كبير.. أين أتجده في البحر؟ لو كان حيّا لعاد إلى البيت.

- التقطت العبارة الأخيرة وقلت!

- والدي لا يستطيع العودة إلى البيت.. وأنت تعرفين هذا»[1]. نلاحظ عدم اقتناع الأمّ بأنّ "صالح حزوم" على قيد الحياة بقدر اقتناعها بأنّه ميت وقد غرق في البحر «**زعقت أمي: - أنا لا أصدّق .. لا أصدّق .. انتم تضحكون عليّ .. صالح غرق ...أين جثّته؟ دعوني أراه... دعوني أودّعه... أكلّمه.. أرى وجهه... لماذا لم تخرجوه من البحر؟»**[2].

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص28، 29.

[2]- المصدر نفسه، ص 29.

إنّ اختفاء جثّة "صالح حزوم" كان عاملا مساعدا على تعليق الرّجاء والأمل لدى "سعيد" و"أمّه" و"البحّارة "، بإمكانيّة وجوده على قيد الحياة في مكان ما «**كنت قد خرجت إلى باحة البيت، توصل البحّار العجوز إلى تهدئة العائلة، عاد الأمل إلى أمي، كانت تدرك أنّ ما قيل غايته طمأنتها إلاّ أنّها تعللت بعدم العثور على الجثّة، قالت في نفسها (لو غرق لظهرت جثّته) كان اختفاء الجثّة عاملا مساعدا في التعلّق برجاء واه أنّ نفسي تعلقت بهذا الرّجاء وما أزال في قلب كل شدة على البرّ والبحر**»[1].

نلاحظ انتقال "سعيد"، والأمّ، والأهل من وضعيّة عدم الاقتناع بأنّ "صالح حزوم" على قيد الحياة إلى الاقتناع بذلك، والعامل المساعد والمغذّي للأمل في البعد الاستهوائي هو عدم إيجاد جثّته، ويمكن أن نوضّح ذلك كالآتي:

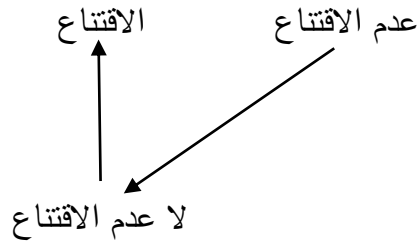

ويمكن توضيح وضعيّة "صالح حزوم" بالانتقال من وضعيّة "اليقين بالموت" (أثناء البحث عنه في البحر) إلى وضعيّة "اليقين بالحياة" (لعدم إيجاد جثته) كما في الشّكل الآتي:

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 32، 33.

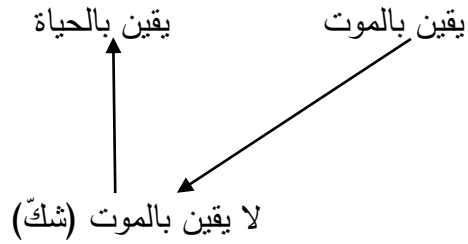

إلاّ أنّ إدخال "سعيد" إلى السّجن ثلاث سنوات من طرف السّلطات الفرنسيّة كان عاملا معارضا أمام تحقيق الهدف المنشود وهو (العثور على والده) ممّا أضحت الذّات الاستهوائيّة "سعيد" في وضعيّة فقدان القوّة والمقدّرة والمقاومة في تحمّل وضعيّته داخل السّجن كما في قوله: «**... يتّكأ على الجدران دون أن يجد قوّة على الحركة فارقته حالة النّشاط التي عاد بها من التّنفس، كان السقف يبدوا جهما في عينيه صار يهبط حتّى أحسّ أنّه يكاد يلامس رأسه، غدا السّجن علبة صدئة ما تنفكّ أكثر فأكثر، استشعر فقدان القدرة على المقاومة، إنّه يتفكّك، أعضاء جسمه تتراخى، ينفصل بعضها عن بعض، قال في نفسه: (يا ربّ! كيف أقضي ثلاث سنوات في هذا الجحيم؟ إنّني أتلاشى... صرت كخرقة إذا جاء أحد وضربني فلا قدرة لي على الرّد لا قدرة لي على الدّفاع عن نفسي، هم ثقيل يجثم على صدري**»[1].

فالشّعور بالفردانيّة والوحدة وفقدان المقدرة وهبوط الهمّة حال دون المقاومة والصّبر داخل السّجن فأضحى بذلك الموضوع في البعد المعرفي

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 75.

عنده هو (البحث عن الحريّة)، وفي تحقيق ذلك ستكون خطوة نحو تحقيق الموضوع الهدف وهو (العثور على والده) في البرنامج السّردي المعرفي إلاّ أنّ العامل المساعد لدى الذّات هو النّسيان «**لقد تعلّمت أن أنسى، تعلّمت أن أرضى، تعلّمت أن أعيش، يوما بيوم، وكأنّ السّجن بيتي، وكأنّ حياته حياتي، والسّجناء فيه إخوتي أهلي ما دام وضع واحد يجمعنا، وأمنية واحدة تداعبنا، وعدوّ واحد هو القيد، يغلّ أيدينا نحن الذين في الدّاخل لأسباب مختلفة، مصدرها واحد هو البؤس الذي يوّحدنا**» [1] فالسّجن هو بمثابة قيد للذّات "سعيد" والبحث عن الحريّة هو بمثابة موضوع في البعد المعرفي بالتّحرّر من هذا القيد «**ثلاث سنوات من العمر، من الشّباب، انطوت بين جدرانك الأربعة، لم أقل متى، على لهفتي أن تكون تلك اللّحظة من الانعتاق حين أتخطى عتبتك ولا قيد ولا حارس ولا شعور بالحجز إذ هو إحساس يرافق السّجين في صحوه ومنامه**»[2].

تتحدّد المقولة السّرديّة، بالتّقابل الدّلالي بين وضعيّة الذّات أثناء القيد في السّجن ووضعيّة الذّات أثناء التّحرر من هذا القيد، فالسّجن بما يعنيه دلاليّا تقييدا لحركة الإنسان يعدّ عاملا معارضا لبرنامج "سعيد" (البحث عن والده) الذي هو بحاجة إلى الحريّة من هذا القيد لتحقيق موضوعه.

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 88،89.

[2]– المصدر نفسه، ص 88.

وبذلك كان خروج "سعيد" من السّجن يمثّل منعرجا هامّا نحو مرحلة ثانيّة، وهيّ: (البحث عن والده)، فالذّات "سعيد" على يقين بأنّه مازال على قيد الحياة، وأنّه يعيش في مكان بعيد عن عيون فرنسا، وأعوانها «**ثلاث سنوات في السّجن، ثلاث دقائق في السّجن، ثلاث ثواني في السّجن انتهى كلّ شيء ومن جديد وجدت نفسي طليقا، الحياة بأسرع من قدرتنا على رصدها، ترمح كفرس شموس..**»[1].

ويمثّل خروج "سعيد" من السّجن نقطة انطلاق ووضعيّة بدئيّة نحو رحلة البحث عن والده الذي شكلّ غيّابه الطويل باعتباره مفقودا لدى الأهل. وبذلك نجد قيمتين متضادتين (الحضور ≠ الغيّاب) فعدم البحث عن "صالح حزوم" يعني (حضوره) أو وجوده مقابل البحث عنه يعني (غيّابه). وحين كان "سعيد" في السّجن كان يستعيد كلام والده ويحلم به حيث سمح لسجين معه أن يقوم بوشم صورة مركب وأمواج على زنده ليذكره بالبحر وبوالده حيث نجده يقول: «**منذ ذلك اليوم حملت لوحة المركب المبحر على زندي ... كنت أشمر الكم في أوقات كثيرة، وأرى إلى المركب، وأحسّ أنّ عالم الماء انفتح لي، وأنّ والدي، من وسط اللّجة يناديني... فأروح في شبه حلم، شاردا كما حولي مناجيّا المركب برفق: (يا عزيزي... أيّتها الحمامة الطّائرة على أعراف الموج...أحفظ والدي....أعده إليّ...إنّني أنتظره...**»[2].

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني (الدقل من حكاية بحار)، ص100.

[2]– المصدر نفسه، ص 170 .

فالوشم كان عاملا مساعدا على مقاومة السّجن والشّعور بالرّاحة فالوشم يـذكّر سـعيد بوالـده وبـالبحر والمركـب، فالوشـم كعلامـة ورمـز هـو مسـاعد علـى التّذكّر وترسيخ حبّـه لوالده والبحث عنـه وحبّـه للبحـر فـي ذاكرتـه بعمّق كمـا فـي قلبـه وللوشـم دلالـة علـى القـوّة أيضـا فـي اعتقـاد السّـجناء فلـه دور موضوعي في زرع الخوف والرّهبة بينهم إلاّ أنّ "سعيد" كان يهدف من وضـع الوشـم فـي زنـده إلاّ لكـي يشـعر بأنّـه قريـب مـن البحـر والمركـب ووالـده ولكي لا ينساه، وكما كان للوشم دورا استهوائيّا في تحسين الحالة النّفسيّة للذّات حيث كان عامل الذّات "سعيد" في وضعيّة الاتصال بالبحر والمركب ثمّ انتقل إلى وضعيّة الانفصال عن البحر أثناء سجنه بثلاث سنوات. ويمكن أن نحدّد ذلك في شكل التّحوّل الانفصالي في الصّيغة الآتيّة:

(ذ ∩ م"البحر") ←——————(ذ ∪ م "البحر")

وبعد الخروج من السّجن يعود الذّات من جديد إلى البحر والميناء والمركب، فينتقل من حالة الانفصال إلى حالة الاتّصال، ويمكن تحديد التّحول الاتّصالي كما في الصّيغة الآتية:

(ذ ∪ م"البحر") ——————→ (ذ ∩ م "البحر")

فتكـون ذلـك عـودة الـذّات إلـى البحـر للإبحـار، والبحـث عـن والـده فـي المـوانئ والمرافـئ البعيـدة لعلّـه يجـده فـي أحـد منهـا «**إنّـه سـيبحث عن هذا الوالد، في كلّ مرفأ سيتنسم أخباره، سيبحث يسأل، يسمع إلى أقوال**

البحّارة ويختلط بهم، فإذا عرف والده في جهة ما فيقصدها مهما تكن نائيّة (أجل سأقصدها مهما تكن نائيّة)»[1].

وعلى هذا الأساس فإنّ التّحريك يتمظهر في البعد المعرفي للذّات إذ أصبحت على يقين بأنّ "صالح حزوم" يعيش في مكان ما وتنطلق رحلة البحث بعد خروج "سعيد" من السجن حيث يتعزّز الموضوع (البحث عن والده) بعد تحرّره من قيد السّجن الذي كان عاملا معارضا ومعيقا في رحلته.

2- **الكفاءة:**

إنّ في عمليّة الإبحار على المراكب تتطلّب خبرة وكفاءة في كيفيّة التّعامل مع المركب أثناء العواصف الشّديدة، فكيف للذّات الغوص في تجربة الإبحار، إلاّ أنّ "سعيد" مستعد للتّعلّم والاستفادة من خبرات البحّارة، ومن الرّيس الذي يريد السّفر معه لتحقيق موضوع القيمة لديه وهو (العثور على والده): «**... هو الآن يتعامل مع الرّيس، مع صاحب مركب، مع رب عمل عليه أن يفهم هذه الحقيقة**»[2]. كان قد عمل مع "الرّيس عبدوش" وهو زوج "كاترين الحلوة" التي كانت عشيقة لوالده، والتي ما زالت حتى بعد سماعها بخبر غرقه تكن له المودّة والمحبّة، وحين عمل عنده "سعيد" أراد أن يسافر معه في سفرته القادمة.

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 266.

[2]- المصدر نفسه، ص 267.

فتصميم الذّات على السّفر، وأخذ القرار نابع من وجود (جهات الفعل) من تأسيس وتأهيل للفعل فمن محدّدات التّأسيس ومن الجهات المضمرة إرادة الفعل إذ نجد الذّات قرّر السّفر نحو قوله: «... **سأسافر يا أمي: فوجئت وقد انقلبت سكينتها إلى توتّر سألت قلقة: – إلى أين يا سعيد؟**

– سأسافر في البحر، مع الرّيس عبدوش.

– ومن هو الرّيس عبدوش هذا؟

– صاحب مركب ضخم.... يعرف الوالد..

– هل لديه أخبار عنه؟

– لا... كلّ ما سمع عنه أنّه غرق في تلك الباخرة.

– ولماذا تسافر معه؟

– سأعمل بحارا على مركبه.

– قالت نائحة:

– يا ويلي...تسافر كما سافر أبوك؟

– أسافر للبحث عنه....»[1].

تتبع الإرادة من إصرار الذّات "سعيد" على السّفر مع "الرّيس عبدوش" للبحث عن والده، وهذا ما يمليه عليه واجبه نحوه، ومؤشّر واجب الفعل نحو قوله: «**والدي لم يغرق... سأسافر وأبحث عنه... هذا واجبي**»[2].

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 170.

[2]– المصدر نفسه، ص 271.

ومن الجهات المضمرة للفعل نحو الجهات المحيّنة للفعل والمحدّدة للتّأهيل، حيث نجد الذّات على معرفة بمخاطر وصعوبة السّفر على البحر ولكنّه مصمّم على السّفر وكلّ ما يعرفه أنّ والده على قيد الحياة، وأنّه في مكان ما، ويجب العثور عليه، حيث نجده يقول:

«– قال ببرود:

– أين ثياب أبي؟

– في الصّندوق...

– سأرتديها منذ الغد..

– هل ترفض رجائي...

– عليّ أن أبحث عن أبي.

– أبوك مات.... مات أنت ستلحق به... وأبقى أرملة ويبقى إخوتك يتامى، هل يعجبك هذا؟

آه يا ربي! قالتها وانفجرت بالبكاء (..)

قال سعيد ملاطفا:

– أبي لم يمت... أنت واهمة تقطعين أملك من الدنيا.. والدي سيعود... عليّ أن أبحث عنه... أنا مسافر... مع الرّيس عبدوش... مركبه جديد وضخم كوني مطمئنّة...»[1].

ويتمظهر البعد المعرفي للذّات بالإصرار على السّفر من خلال المؤشّرات: **(عليّ أن أبحث عن أبي، أبي لم يمت، والدي سيعود...**

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 273.

علـيّ أن أبحـث عنـه)، "فسـعيد" يريـد إقنـاع والدتـه بوجـوب البحـث عـن والـده إلاّ أنّ والدتـه تـرفض ذلـك خوفـا مـن فقدانـه. ويمكـن توضـيح ذلـك فـي الجـدول الآتي:

الكفاءة		الانجاز
الجهات المضمرة	الجهات المحيّنة	الجهات المحقّقة
– إرادة فعل السّفر. – واجب البحث عن والده.	– معرفة فعل السّفر للعثور على والده. – القدرة على فعل السّفر لحبّه للبحر والإبحار.	– سفره مع الرّيس عبدوش.
التّأسيس	التّأهيل	التّحقيق
عامل الذّات سعيد		

ومنه نلاحظ امتلاك الذّات الكفاءة نحو الانجاز، حيث تمتلك العناصر العامّة والمشكّلة للتّأسيس والتّأهيل نحو تحقيق الموضوع (العثور على والده).

3– الانجاز:

يعدّ طـور الانجـاز فـي الخطاطـة السّرديّة للذّات بمثابـة (فعل الكينونـة) فهـو مرحلـة التّنفيـذ والشّـروع فـي العمـل، إلاّ أنّ الـذّات "سـعيد" تقـف أمامهـا صـعوبات وعراقيـل نحـو تحقيـق الموضـوع، ولعـلّ العامـل المعـارض الأوّل فـي هذه المهمّة والدته التي ترفض بشدّة فكرة سفره كما في المقولات السّرديّة

الآتية: « **يا ويلي...تسافر كما سافر أبوك؟ (..) أنا أقول لن تسافر... يكفي فجيعتي بواحد.... البحر أخذ نصيبه منّا.... فريضته علينا انتهت، فماذا يريد أكثر؟.... البحر غدّار، البحر عدو... لا تفكّر في السّفر، لماذا لا تقنع بعملك في الميناء؟ – كلمات والدك نفسها.**

– هذه كلمات جميع البحّارة، البحر للرّجال.

– لن تسافر..

– سأسافر. – انتصبت كأنّ نابضا دفعها إلى الأعلى، تقدّمت منه بوجه مكفهرّة، ومن عينيها يتطاير الشّرر، صفعته بقوّة، دهشت هيّ نفسها كيف واتتها صاحت: – قلت لك لن تسافر...»[1].

كانت الوالدة تريد إقناعه في البداية بالعدول عن فكرة السّفر لكنّها فشلت إذ وجدته عنيدا ومصمّما على السّفر، ممّا استفزّها ذلك وزاد من غضبها إلاّ أنّها استسلمت ويئست حين وجدته مصمّما على السّفر «**عليّ أن أبحث عنه... أنا مسافر مع الرّيس عبدوش ... (...)، خذي ... قالها وأعطاها قسما من النّقود التي تسلّمها من الرّيس عبدوش، فلم تمدّ إليها يدا، فزعت منها، تصورتها ثمنا لدم ابنها ووضعت يدها على خدها وواصلت ذرف الدّموع بصمت، كأنّها يئست فاستسلمت...»**[2].

---

[1]– حنا مينة ، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 271، 272.

[2]– المصدر نفسه، ص 273.

وعليه فإذا كان البرنامج السّردي المعرفي الرّئيس لعامل الذّات هو (البحث عن والده) متوقّفا على نجاح البرنامج السّردي المساعد (السّفر والإبحار)، فإنّ البرنامج السّردي المضاد أو المعارض لعامل الذّات "الأم" هو (رفض السّفر) خوفا على فقدان ابنها "سعيد"، فكان البرنامج السّرديّ المضاد "الأم" هو البكاء والتّرجيّ ثمّ الصّراخ وصفع ابنها صفعة قويّة ولقد حدث ذلك عفويّا كرد فعل انفعالي لسماعها حديثه المصمّم فيه على السّفر إلاّ أنّها فشلت في تحقيق الموضوع (عدول ابنها عن فكرة السّفر)، فتهاوت على الفراش وانفجرت بالبكاء ويفشل البرنامج السّرديّ المساعد الأوّل للبرنامج السّرديّ المضاد أو المعارض "للأم"، والتي تسعى مجدّدا نحو تحريك البرنامج السّرديّ المساعد الثّاني حيث تنزلق "الأم" من خانة الذّات إلى خانة المرسل للذّات "كاترين الحلوة" لتحقيق الموضوع (عدول "سعيد" عن فكرة السّفر) ويتمثّل ذلك في الذّهاب إلى "كاترين الحلوة" وإقناعها بأن تقنع زوجها بعدم اصطحاب "سعيد" معه في هذه السّفرة، وبذلك تكون "كاترين الحلوة" عاملا مساعدا في البرنامج السّردي المضاد أو المعارض"للأم" «**وكانت أمّه مصمّمة أيضا (سأرى كاترين الحلوى من كلّ بدّ ربّما استطاعت إقناع زوجها بالتّخلي عن سعيد قد تأتي وتقنعه بنفسها، سعيد عنيد مثل أبيه، لكنّه إذا لم يجد مركبا بقيّ في الميناء**»[1].

قامت "الأم" بزيارة "كاترين الحلوة" لطلب المساعدة منها «**يريد البحث عن أبيه؟! آه أين يبحث عنه؟ في أيّ أرض؟ في أيّ بحر؟ سنوات مضت**

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 275.

ولا خبر عنه (...) في اليوم التّالي حصلت على عنوان "كاترين"، وفي اليوم التّالي جاءها سعيد في ثيّاب البحّارة، حين رأته بوغتت كان صورة عن أبيه ابتسمت إعجابا بسملت في سرّها، غير أنّها ظلّت على مقاومتها رافضة أن يسافر مهما حدث قالت "كاترين الحلوة":

- لا أريده أن يسافر...

- ولا مع الرّيس عبدوش؟

- لا مع الرّيس عبدوش ولا سواه..

- الرّجل لا يوضع في علبة... زوجك كان بحّارا، وابنك سيكون بحّارا... الولد سرّ أبيه... كيف؟ (...)

- ... أريد أن تقنعيه...

- أقنعه بترك البحر؟ - بترك السّفر فقط....»[1].

لقد أشفقت "كاترين الحلوة" على "الأم" لرأيتها تبكي، وبعد أيام حين رأت "سعيد حزوم" وجدته بحّارا حقيقيا مثل والده، فحاولت "كاترين الحلوة" أن تثني عزمه على السّفر، لكنّها فشلت في تغيير موقفه في البداية حيث نجده في حوار معها يقول:

«- عليّ أن أبحث عن والدي.

- قد تضيع أنت كما ضاع هو..

- لا يصيبنا إلاّ ما كتب الله لنا...»[2].

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 275، 276.

[2]- المصدر نفسه، ص 278.

لكنّها حين وجدته مصرّا على السّفر طلبت منه تأجيله إلى السّفرة القادمة مع "الرّيس عبدوش" إرضاء لوالدته من جهة وإعجاب به من جهة ثانيّة كونها وجدته يشبه والده "صالح حزوم" حين رأته بملابس البحّار فحاولت إغواءه وإقناعه بالبقاء لأجلها وبذلك فقد نجحت "كاترين الحلوة" بتأجيل سفر الذّات "سعيد" إلى السّفرة القادمة، وليس بتعديل موقفه عن السّفر، لأنّ فكرة السّفر راسخة في ذهنه حيث نجدها تقول:

«- غير أنّني أريدك أن تبقى..

- لماذا؟

- قالها بسذاجة، ابتسمت لها.

- اسأل أمك..

- أمي تخاف عليّ...

- وأنا أخاف عليك... سأتحدث مع الرّيس هذا المساء.

- أنا لن أسافر معه غدا.

- أعرف.

- ربّما في السفرة القادمة..»[1].

وبذلك كان نجاح البرنامج السّردي المضاد "للأم" بمنع "سعيد" من السّفر والإبحار، وكان العامل المساعد في إنجاز المهمّة "كاترين الحلوة" بإقناع "سعيد" و"الرّيس عبدوش"، ومنه يمكن أن نحدّد العوامل السّرديّة لهذه البنيّة كالآتي:

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 279.

(البحث عن والده)

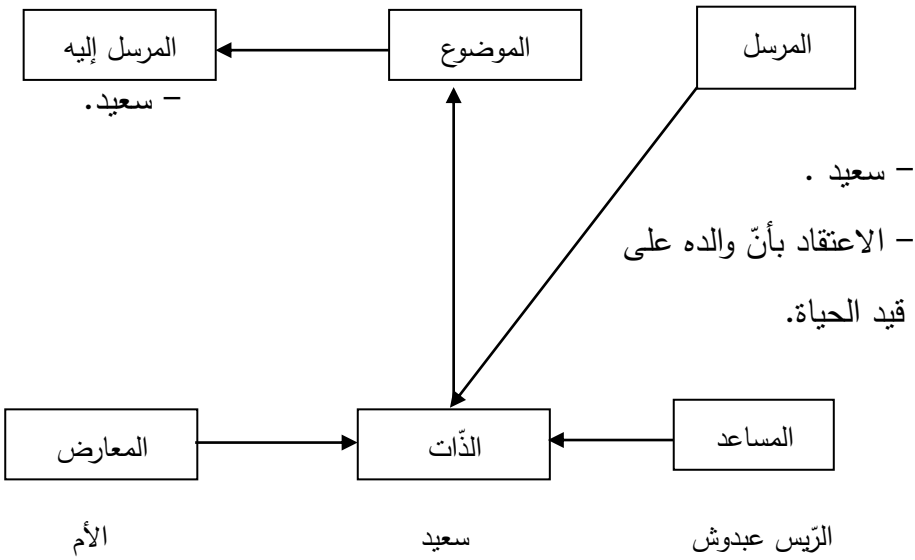

فـالنّموذج العـاملي يحـدّد العوامـل السّـرديّة للبرنـامج السّـردي المعرفـي الرّئيس لعامل الذّات "سعيد" نحو تحقيق الموضوع (السّفر للبحث عن والده) إلاّ أنّ البرنامج السّردي المضاد يقف معارضا لتحقيق الذّات السّفر؛ ممّا يقوم بعرقلة الذّات، وذلك خوفا عليه، حيث نجد العامل المعارض المتمثّل في "الأم" ينزلق من خانة المعارض إلى خانة المرسل لإقناع عامل الذّات "كاترين الحلوة" التـي تقوم بتحقيق الموضوع المستهدف، وهو منع الذّات "سعيد" من السّفر من خلال العامل المساعد إقناع "سعيد" وإقناع "الرّيس عبدوش" بتأجيل السّفر إلـى المرّة القادمـة، وبذلك نجد العوامل السّرديّة فـي البرنـامج السّردي المضـاد للمثّل (الأم) تتضافر في البنية العامليّة في الشّكل الآتي:

تأجيل سفر سعيد

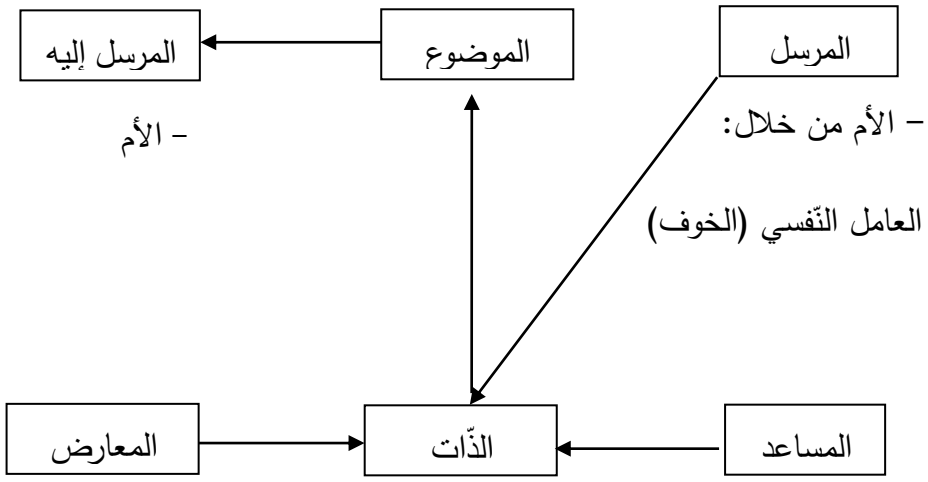

- الأم من خلال:

العامل النّفسي (الخوف)

- الأم

- إقناع سعيد

كاترين الحلوة

تصميم سعيد على السّفر

- إقناع الرّيس عبدوش

ويمكن أن نحدّد البرنامج السّردي المضاد في الجدول الآتي:

البرنامج السّردي	العامل	الموضوع	الوضعيّة
- البرنامج السّردي الرّئيس. - البرنامج السّردي المساعد(1).	- المرسل (الأم). - المساعد (الأم) من خلال البكاء والتّرجي	- رفض سفر سعيد.	الإصرار على السّفر.

		والصّراخ.	
تحوّل			
الاقتناع بتأجيل السّفر.	– إقناع سعيد والرّيس عبدوش – تأجيل السّفر.	– المساعد للأم(كاترين الحلوة) ذات فاعلة في البرنامج السّردي. – عامل معارض (الأم).	– البرنامج السّردي المساعد (2). – نجاح البرنامج السّردي الرّئيس.

نلاحظ نجاح البرنامج السّردي المضاد "للأم" بتأجيل الذّات "سعيد" فكرة السّفر والإبحار، بمساعدة "كاترين الحلوة"، وبالمقابل إذا كان تأجيل الذّات السّفر فهذا معناه ليس رفض السّفر، بل رغبة منه لإرضاء كاترين الحلوة حيث نجده يعود بعد ذلك إلى فكرة السّفر والإصرار عليه من جديد ، ويقف في هذه المرّة العامل المساعد "قاسم" بتشجيع الذّات "سعيد" على السّفر والبحث عن والده، حيث نجد "سعيدا " يقول: «**قال قاسم:**

– لا تكن عصبيّا... سافر... لا بدّ أن ينفعك السّفر..

- ابحث عن والدك، البحث جيّد في كلّ الأحوال (...).

- بدا الارتياح على سعيد... ها هو أخيرا رجل يثق به.

يقول له سافر... معنى هذا أنّه لا يسير على طريق خاطئة...»[1].

ومنه فقد قرّر"سعيد" من خلال تشجيع "قاسم" له بالسّفر في السّفرة القادمة كما في الملفوظ السّردي:

«- ألم تسافر يا سعيد؟

- سأله أبو الوفق...

- في السّفرة القادمة.

- سنسمع أخبارك من الرّيس...

- أخباري سيرويها كلّ البحّارة (...).

- هو حيّ يرزق.. وأنا مسافر للبحث عنه...

- تحسبه يعود، إذا لم تخرج فرنسا؟»[2] .

وحين أتى موعد السّفر حاولت "كاترين الحلوة" مرّة ثانيّة إقناع زوجها بعدم اصطحاب "سعيد " معه لتحقيق موضوع البرنامج السّردي المضاد للممثّل

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 285.

[2]- المصدر نفسه، ص 288.

"الأم" مرّة ثانيّة وتساعدها، إلاّ أنّ "الرّيس عبدوش" لم يقتنع هذه المرّة وأصبح يشكّ في الأمر، كما في المقطع السّردي: «**كاترين الحلوة في ساعة صفاء طلبت من الرّيس عبدوش ألا يأخذ معه سعيد في البحر، قالت:**

– أريد أن تبقي سعيد هنا في الميناء.

– صدمه الطّلب..

– لماذا تريدينه أن يبقى؟

– رحمة بأمّه...

– هم

– وقال في نفسه (بأمّه أم بك؟)

أجاب:

– قلت سيسافر معي والسلام لا أريد نقاشا في هذا الموضوع»[1].

وبذلك يكون فشل البرنامج السّردي المضاد "للأم" ونجاح البرنامج السّردي للذّات "سعيد" نحو تحقيق الموضوع (السّفر والإبحار للبحث عن والده) ولقد كان العامل المساعد للذّات هنا "الريس عبدوش"، و"قاسم"، ومنه يمكن أن نوضّح البرامج السّرديّة كما في الجدول الآتي:

[1]– حنامينة ، الكتاب الثاني ، الدقل (من حكاية بحار) ، ص 297، 298.

البرنامج السّرديّ	العامل	الموضوع	الوضعيّة
– البرنامج السّرديّ المعرفي الرّئيس.	– الذّات "سعيد".	– السّفر والإبحار.	– التّصميم على السّفر.
السّفرة الأولى			– اليأس.
– البرنامج السّرديّ المضاد. – البرنامج السّرديّ المساعد (1).	– الذات (الأم). – المساعد "الأم".	– رفض السّفر بالبكاء والتّرجي والصّراخ.	– عدم الاقتناع.
			تحوّل
– البرنامج السردي المساعد (2)	– المساعد والذّات الفاعلة "كاترين الحلوة".	– إقناع "سعيد". – إقناع زوجها "الرّيس عبدوش".	– الإقناع بتأجيل السّفر.
السّفرة الثّانيّة			
– البرنامج	– الذّات "الأم".	– إقناع "الرّيس	– عدم الاقتناع.

السّرديّ المساعد (3). – فشل البرنامج السّرديّ المضاد.	– المساعد "كاترين الحلوة". – المساعد "كاترين الحلوة".	عبدوش" بعدم اصطحاب "سعيد" معه.	
			تحوّل
– نجاح البرنامج السّرديّ المعرفي الرّئيس.	– الذّات "سعيد" – المساعد "قاسم" و"الرّيس عبدوش"	– السّفر والإبحار.	– السّفر.

وبنجاح البرنامج السّردي الرّئيس يتمّ سفر وإبحار الذّات "سعيد" نحو تحقيق الموضوع القيمة لديه، وهو (البحث عن والده)، وكانّ أوّل سفره نحو الإسكندريّة، حيث كان عامل الذّات (1) "سعيد" في وضعيّة حزن ويتعذّب بالفراق عن الذّات (3) "كاترين الحلوة " التي تعلّق بها كثيرا، وكان عامل الذّات (2) "الرّيس عبدوش" يتعذّب بالشّك، حول وجود علاقة بين الذّات (1) "سعيد"

والذّات (3) "كاترين الحلوة" كما في الملفوظ: «**كانا رجلين يحبّان امرأة واحدة على ظهر مركب واحد، أحدهما يتعذّب بالفراق والآخر يتعذّب بالشّك وكان انطلاق المركب في الثّلث الأوّل من اللّيل فيصلا بين ما قبل وما بعد**»[1]. ومن الملفوظ السّردي فإنّه «لا يمكن الفصل بين هوى الغيور ومجمل البرامج التي يتوسّل بها من أجل تنظيم علاقته مع الغريم والمحبوب، إنّ الفارق بين المسارين يكمن في التّركيز على (الفعل) في حالة المسار السّردي وعلى (الكينونة) في حالة المسار الاستهوائي»[2]، ويتمظهر هوى الغيرة بداية «بالتعلّق والمنافسة، ويستتبع علاقة بين الغيور والموضوع (م) وبين الغيور ومنافسه، ويقترن من خلال علاقة الوصل أو الفصل إمّا بالخوف من فقدان الموضوع أو اقتسامه مع المنافس وإمّا بالامتعاض من استمتاع الآخر به وحرمانه منه، ويستدعي جملة من الوضعيّات (التباري، والمزاحمة، والرّغبة والامتلاك، والحصريّة) التي تبيّن أن كلّ عيّنة انفعاليّة لا تنسخ أختها بل تحرّك اتّجاهات وبرامج وعوامل مناسبة لمضامينها (...) وفي كلّ الحالات يسعى الغيور إلى امتلاك الحبيبة (ذ3) ويرفض أن يشترك المنافس في امتلاكها أو الاستمتاع بها»[3].

---

[1]– حنامينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 304.

[2]– ألجيرداس.ج.غريماس، جاك فونتنيي، سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، تر: سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1 2010، ص14.

[3]– ينظر: محمد الداهي، سيميائية السرد في الوجود المتجانس، ص 94، 95.

ويقوم هوى الغيرة في الثّلاثيّة على وجود علاقة بين ثلاثة عوامل الذّات(1) "سعيد" المنافس والذّات(2) الزّوج الغيور"الرّيس عبدوش" والموضوع(م) الزّوجة "كاترين الحلوة"، وما يجعل الزّوج يغار على زوجته هو شعوره بالإباء والمروءة والتّرفع وعدم استساغة أن يمسّ غيره كبرياءه وشرفه[1]، ولقد تولّدت الغيرة لدى "الرّيس عبدوش" حين حدّثته "كاترين الحلوة" عن عدم اصطحاب "سعيد" معه في سفرته حيث بدأ يشكّ في اهتمامها به، ومنه بدأ هوى الغيرة يتمظهر عند الغيور "الرّيس عبدوش" بداية «بالشّك وما يستتبعه من حذر وخوف، وتنجم مثل هذه الأهواء عن اضطراب الثّقة الذي يغيّر المعطيات الأصليّة للتّعلّق ويغار»[2] "الرّيس عبدوش" بوجود هذا الشّعور الذي يقلقه من الشّك والخوف والخشية من فقدان "كاترين الحلوة" والقلق كحالة نفسيّة يفسّره "سيجموند فريد"* بأنّه تصادم رغبتين متعارضتين إذ يقول: «فالقلق هو نزاع شديد بين رغبتين متناقضتين كلّ منهما تحاول أن تملي إرادتها، والقلق يخلق التّردّد والتّردّد يخلق العصبيّة والعصبيّة تؤدّي

---

[1]– محمد الداهي ،سيميائية السرد في الوجود المتجانس، ص 165.

[2]– المرجع نفسه، ص 193.

*سيجموند فرويد أستاذ علم النّفس في ألمانيا ولد سنة 1856م من أبويين يهوديين في مدينة فرايبرج بمورافيا التي تعرف الآن بتشيكوسلوفا نشأ ودرس الطبّ في جامعة فيينا واهتم بالأبحاث الفسيولوجيّة والتّشريحيّة المتعلّقة بالجهاز العصبي وفي عام 1881 حصل على الدكتوراه في الطبّ إشتغل طبيبا في المستشفى الرّئيسي بفيينا ونشر بعض الأبحاث الهامّة في تشريح الجهاز العصبي وعيّن محاضرا في علم أمراض الجهاز العصبيّ، ينظر: سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، تر: سامي محمود علي وعبد السلام القفاش مكتبة الأسرة، دم، دط، 2000، ص09.

إلى الانهيّار العام، والانهيار العام يخلق الشّك، والشّك إذا زاد عن حدّه يؤدّي إلى الحيرة والخوف وعدم الاطمئنان...»[1]، ويبدو أنّ القلق أعمّ من الخوف أو الريبة ولذلك ينظر إليه باعتباره مكوّنا من المكونات التّركيبّة الأساسيّة للغيرة[2] و«تشتغل الغيرة في صيغتها الأكثر تركيبا بنية عامليّة»[3] تتكوّن من ثلاثة عوامل هي: (ذ1) "سعيد"، و(ذ2) الزّوج الغيور "الرّيس عبدوش" و(ذ3) "كاترين الحلوة" وهيّ الموضوع، وتتمظهر العلاقة بين العوامل الثّلاثة بوجود مسارين استهوائيين الأوّل بين (ذ1) "سعيد"، و(ذ3) "كاترين الحلوة " التي نشأت علاقة بينهما في غيّاب الزّوج "فكاترين الحلوة" ترى بأنّه لا يحلو الزّوج دون وجود عشيق لها وما إعجابها "بسعيد" إلاّ لكونه يشبه والده "صالح حزوم" وهيّ مع الزّمن تجده يختلف عنه فتبتعد عنه وترفضه، أثناء ذلك نجد (ذ1) "سعيد" متعلّق "بكاترين الحلوة" فهو «ذاتا تهب نفسها كليّة للموضوع ومن جهة ثانيّة تظلّ الذّات متعلّقة بالموضوع في حالة الاتصال وفي حالة الانفصال ونعتبر عامّة أنّ الذّات تتلقى حمولة دلاليّة من خلال موضوع القيمة لحظة الرّبط بينهما، أمّا الذّات المتعلّقة فتتلقّى حمولة دلاليّة من خلال موضوعها كيفما كان نوع الرّابط بينهما إنّها كذلك قبل أن تصنّف مقوليّا

---

[1]– سيجموند فرويد ووليم تشيكل، الكبت تحليل نفسي، تر: علي السيد حضارة، المكتبة الشعبية، القاهرة، دط، دت، ص34.

[2]– ألجيرداس.ج.غريماس وجاك فونتني، سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، تر: سعيد بنكراد، ص260.

[3]– المرجع نفسه، ص266.

في انفصال أو اتّصال؛ أيّ في اللّحظة التي لم تكن فيها سوى استيثاق»[1] فالذّات "سعيد" متعلّق "بكاترين الحلوة" سواء أثناء اتّصاله بها في اللاذقيّة أو في حالة الانفصال عنها بسفره مع "الرّيس عبدوش" فهو ذات متعلّقة وفي حالة اتّصال استهوائي بها. وأمّا المسار الاستهوائي الثّاني فهو متعلّق بالذّات (ذ2) "الرّيس عبدوش"، و(ذ3) "كاترين الحلوة" زوجته، حيث كان يشكّ فيها. وقبل اصطحاب "سعيد" معه في سفرته لإبعاده عنها وكما تغيّرت نظرته إليه من بحار عاديّ إلى غريم ومنافس له حول الموضوع "كاترين الحلوة".

وبذلك تبدأ علامات الغيرة لدى الذّات (ذ2) الغيور "الرّيس عبدوش" من الذّات (ذ1) المنافس "سعيد"، إذ نجد الذّات الاستهوائيّة "الرّيس عبدوش" (ذ2) تتغيّر من وضعيّة هادئة متّزنة ثابتة على الميناء إلى وضعيّة منفعلة وغاضبة ومستبدّة على المركب، ونلاحظ ذلك من خلال قول الذّات "سعيد": «**في الوهلة الأولى للإبحار كان الرّيس عبدوش على *الدّفة ناور لإخراج المركب* من الميناء وصرخ بأوامره في توجيه الأشرعة وشدّ الحبال، انقلب من ذلك الهدوء الذي عرف به على البرّ إلى كتلة من أعصاب مستنفرة مستبدّة، غاضبة، آمرة بلهجة قاطعة، لا مكان معها للتردّد أو التّأخر في التّنفيذ، غدا ذئبا حقيقيّا في قطيع من خراف تجاهل سعيد كأنّه لا يعرفه**»[2]. فتظهر الذّات (ذ2) منفعلة وأثناء ذلك يتذكّر "سعيد" كلام صديقه "قاسم" حين قال له: «"**الرّيس ربّ عمل، والبحّارة أجراء**"، **إنّه أجير**

---

[1]– ينظر: حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص248، 249.

[2]– المصدر نفسه، ص304.

لا أكثر، حريّة البحر لا تحقّق مع عبوديّة الملكيّة الخاصّة التي يتصرّف بموجبها الرّيس عبدوش كسيّد، الأجير يفقد حريّته أينما كان في الميناء كان عبدا لصاحب الزّورق، وهنا عبد لصاحب المركب»[1]. ويفسّر "سعيد" غضب "الرّيس عبدوش" بأنّ ذلك يعود إلى طبيعة عمله في البحر كبحّار وكسيّد على المركب والبحّارة أجراء عنده.

وتنطلق الرّحلة على المركب بشكل طبيعي و كلّ من الذّات "سعيد" و"الرّيس عبدوش" له هوى معيّن في داخله ويختلج في صدره بين الذّات "سعيد" بالتّعلق والحنين إلى "كاترين الحلوة" وأمله في العثور على والده، والذّات "الرّيس عبدوش" الذي سيطر عليه هوى الغيرة من وجود "سعيد" معه في هذه الرّحلة.

وتمضي الأيام على رحلة الذّوات في البحر وكان العامل الطّبيعي (الرّياح) عاملا مساعدا في الإبحار حيث تفاعل بها "الرّيس عبدوش" «**سار المركب في عرض البحر متهاديا، كانت الرّيح *مؤاتيّة*، انتظرها الرّيس عبدوش بخبرته الطّويلة، وأفاد منها في الإقلاع موفق يتفاءل به عادة**»[2] وأيضا رؤية النّجوم لتمييز الاتّجاهات ولمعرفة الوقت، فكانت عاملا مساعدا في الرّحلة. وخلال أيّام تعلّم "سعيد" الكثير من الأشياء

---

[1]– ينظر: حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 306.

[2]– المصدر نفسه، ص 305.

«صار يقوم بالحراسة وبتسويّة القلوع والرّقابة من أعلى الدقل*»[1] (..)، «ولم يكن قادرا بعد على تبيّن الظّواهر الجويّة، ومعرفة أهميّة تقلّبات الجوّ وخطرها رأى غيوما تتشكّل عند الأفق الغربيّ غير أنّ السّماء من فوقه كانت صافيّة (ما هم – قال في نفسه– أن تكون غيوم بعيدة، وأن تهبّ ريح غربيّة... المركب ضخم كلّ شيء على ما يرام... انتهت نوبة مراقبته لم يكن ثمّة ما يقلقه، فاعتبر الحالة طبيعيّة»[2] (...)، «غير أنّ البحّار الذي صعد مكانه إلى المراقبة نزلة بسرعة... الرّيح تغيّرت *وأن تغيّرها* ينذر بالخطر.... ذهب إلى الرّيس عبدوش أبلغه، قال له الرّيس عبدوش: (تصرّف بهدوء وحكمة نحن نواجه عاصفة ...»[3]، لم تكن للذّات "سعيد" (ذ1) الكفاءة والخبرة اللاّزمة في معرفة تقلّبات الجوّ، بالمقابل نجد الذّات (ذ2) "الرّيس عبدوش" له الخبرة من خلال تجاربه السّابقة ورحلاته في البحر، فبتغيّر الرّياح وتجمّع الغيوم كان مؤشّرا كافيّا لقدوم عاصفة قويّة وبداية لصراع البحّارة مع العاصفة المعبّر عن صراع الإنسان مع الطّبيعة.

«الرّيح بدأت غريبة. رفضت أن تستمرّ كذلك تداخلت عناصرها في عراك نهاش. واستدارت على نفسها في شكل دوّامات. وأقبل إعصارها الرّهيب يلّف كلّ ما يصادفه في طريقه ويسوط وجه البحر فيشرئب الموج

---

* الدقل: هو الصاري الرئيسي وسط المركب.

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص314.

[2]– المصدر نفسه، ص316.

[3]– المصدر نفسه، ص ن.

ويتعالى جبالا مخيفة هادرة متدحرجة من كلّ الأطراف، والمركب كتابوت خشبيّ، يضطرب في (الخبّ) الذي يردم السّفن في وديانه السّحيقة»[1].

وكانت مقاومة البحّارة للعاصفة بكلّ ما لديهم من قوّة إلاّ أنّ العاصفة كانت أشدّ قوّة كما في الملفوظ: «**قاوم البحّارة ما استطاعوا، طووا القلوع أو ما تبقى منها، شدّوا الحبال بزنود معدنيّة (...)، والمركب يرتفع تارة وينخفض طورا، والرذاذ والرّيح والمطر تعمي العيون وتحرقها حرقا (...) انكسر الصاري الذي يرتبط بالدّقل، واختلّ نظام الأشرعة وبات فقدان الانسجام بين الصواري حاملة القلوع وبين الدّقل الكبير، يهدّد المركب بالجنوح على أحد جانبيه، كانت تلك كارثة (..) تحطّم الدّقل الكبير وهوى محدثا دويّا أشبه بالهزّة دويّا كذاك الذي أحدثه الصّاري (..) تمسّك كلّ من على ظهر المركب بشيء ما (..) مقاومة عنيدة استدعتها نوازع حبّ البقاء التي استيقظت في الصدور**»[2].

فالعامل المساعد في هذه المقاومة هو بعد استهوائي متمثّل في هوى الخوف من الغرق والموت، فكان الخوف محرّكا قويّا للمقاومة وتحدّي البحّارة العاصفة الهوجاء، وكانت هذه أوّل رحلة "لسعيد" اكتشف من خلالها غضب البحر وعاصفته القويّة فتذكّر أثناء ذلك صورة أمّه وهيّ تبكي، رافضة سفره خوفا عليه من الغرق والموت «**أمي كانت على حق كانت تحدس بما سيقع**

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 318.

[2]– المصدر نفسه، ص 322،323.

حذّرتني من البحر قالت أخذ والدك وسيأخذك أنا لم آبه بكلامها (...) ما كنت أعرف البحر...»[1].

ولقد كان فصل الصّاري عن الدّقل عاملا مساعدا أمام هذا الصّراع القويّ «**... أخيرا جاءت اللّحظة الحاسمة للإثبات كان فصل الصّاري عن الدّقل لقطع الحبل التي توثق بينهما ضرورة حياة، إذا ظلّ الصّاري يرتطم بالدّقل زعزعه وإذا انهار الدّقل غرق المركب لا محالة**»[2].

وتبدأ بذلك الخطوة الحاسمة وساعة الخطر في اختيّار شخص للصّعود وقطع الصّاري عن الدّقل، وقد كان "سعيد" قد اختار نفسه لهذه المهمّة الصّعبة «**صعد على السّلم الحبلي (..) وضع السّكين في فمه، وصرّ عليها بأسنانه واندفع بعزم إلى الأعلى غير آبه بالمطر والرّيح، وراح مع تأرجح المركب يتدلّى في الفضاء تارة وبين الأعمدة طورا (..) بقيّ ذلك ساعة كاملة (..) أدرك الآن أنّ مهمّته صعبة ليست باليسر الذي تخيّله وهو على سطح المركب (..) بلغ أعلى الدّقل أخيرا تلمّس الخشب المبلّل بأصابع مرتعشة من التّوتر، غرس قدميه على السّلم حضن الدّقل بيده اليسرى، بسمل وشرع يعمل كان الحبل ثخينا (..)... ما زال يشدّ الصّاري إلى الدّقل..**»[3].

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 323.

[2]– المصدر نفسه، ص 324.

[3]– المصدر نفسه، ص 327،328.

وقد وقف أمام عمليّة الإنجاز عامل معارض طبيعيّ متمثّل في (الرّعد والمطر، والرّياح) حيث زاد من الوتيرة النّفسيّة فكان بعد استهوائيّا مرسلا في تفعيل حركيّة الذّات نحو الإنجاز وتحقيق الموضوع، قطع حبل الصّاري من الدّقل، وذلك كما في الملفوظ «**هدر الرّعد، صخبت الأمطار فاستشعر سعيد خورا في ركبتيه بلغ التّوتر منتهاه**»[1].

إلاّ أنّ عامل الذّات "سعيد" (ذ1) تحدّى العامل المعارض وقام بقطع الحبل فكان بذلك نجاح المهمّة، ونجاح البرنامج السّردي بتحقيق الموضوع (قطع حبل الصّاري من الدّقل)، كما في المقولة السّرديّة: «**تروض الحبل وانقطع، سمع دويّ شديد سقط الصّاري في البحر، سلم الدّقل، انتهت المهمّة...**»[2].

ويمكن أن نحدّد العوامل السّرديّة التي تضافرت في تشكيل البنية العامليّة لهذه الرّحلة البحريّة كالآتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص328.

[2]– المصدر نفسه، ص 329.

(قطع حبل الصاري من الدقل)

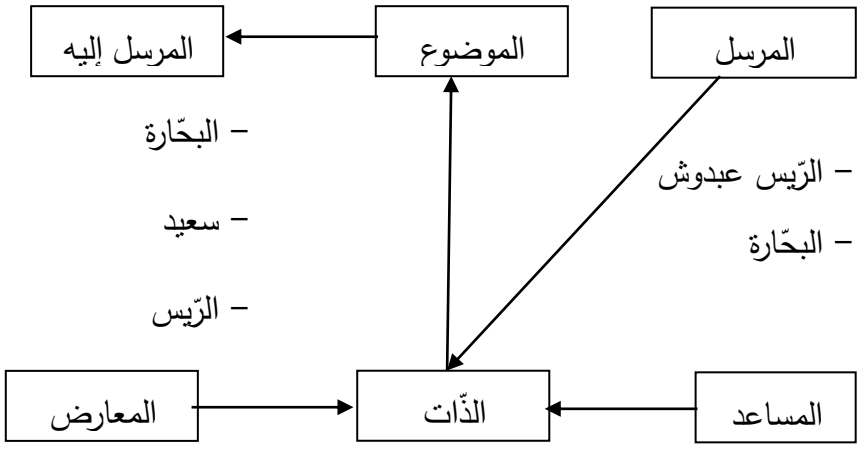

4– الجزاء:

ويعدّ الجزاء آخر أطوار الخطاطة السّرديّة محدّدا (كينونة الكينونة) للفعل المنجز من طرف الذّات "سعيد" و"البحّارة "، الذين قاموا بدورهم بطرح الحمولة من المركب كما في قول "الرّيس عبدوش": «**... وقال الرّيس مخاطبا الرّكاب: – تحرّكوا، ساعدوا في طرح الحمولة وإلاّ غرقنا... ضاعفوا الهمّة وإلاّ غرقنا!.. (...) وتعالت الأصوات نائحة مستجيرة:**

– غرقنا! غرقنا!... وتدفّق البحر إلى الدّاخل عنيفا جارفا لم يبق إلاّ إنزال السنبوق* عسى أن تتمّ النّجاة لمن ينزل فيه»[1]. والمركب بدأت تغرق وبقيّ على السّطح المغمور بالماء كلّ من الذّات "سعيد" (ذ1) والذّات (ذ2) "الرّيس عبدوش"، وكانت المواجهة الكلاميّة بينهما: «**قال سعيد وهو يجاهد لإخراج الكلمات: الزورق ما زال مربوطا بالمركب انج بنفسك يا ريس... أحسّ هذا أنّ سعيد يذبحه... القاعدة أن يبقى الرّيس وحده (...) أن يغرق مع المركب أو ينجو معه»**[2] (..)، «**قال الرّيس عبدوش هادئا: – الرّيس عبدوش لا يخاف الموت يا سعيد.... تذّكر هذا قله أيضا لوالدك الذي تبحث عنه. فقال سعيد: – أعرف لكن هناك من ينتظرك..**

– لينتظر ما شاء.

– أهذه كلمتك الأخيرة؟

– وداعا إذن...

– وداعا....»[3].

---

* السنبوق: قارب صغير للنّجاة.

[1] – حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 330.

[2]– المصدر نفسه، ص 332.

[3]– المصدر نفسه، ص ن.

لم تكن الذّات (2) "الرّيس عبدوش" على نيّة طيّبة وخيّرة مع الذّات(1) "سعيد"، فالغيرة جعلته يكرهه، أراد أن يخدعه، ويقطع الحبل به كانت الغيرة بعدا استهوائيّا لتحريك الذّات (2) نحو فعل الشّر بقطع الحبل وقتل الذّات (1) "سعيد" للانتقام منه وللفوز بالذّات (3) موضوع الصّراع "كاترين الحلوة" أو ليموتا الإثنين: الذّات (1) "سعيد" والذّات (2) "الرّيس عبدوش"، فكان العامل المساعد للذّات (2) هو قطع الحبل على الذّات (1) "سعيد" لكي لا يصل إلى زورق النّجاة ويغرق في البحر، ونجد ذلك كما في الملفوظ: «**تعلّق سعيد بحبل السنبوق وألقى نفسه بالماء كان الذين في الزّورق يشدّون الحبل ليتمكّن سعيد من التّعلق به والوصول إليه لكن الرّيس عبدوش كان واقفا مع المركب الذي يغرق وكانت السّكين معه، وشيء كالنّار يبرز من عينيه والغيرة قد وشحت وجهه كلّه رفع يده وانتظر... مدّها وانتظر... وحين صار سعيد في منتصف الطّريق، قطع الحبل وهو يفح كالأفعى: – لنغرق معا يا سعيد أنت في البحر وأنا على ظهر المركب، هكذا تتحقّق العدالة بيننا..**»[1].

لم يكن ينتظر "سعيد" بعد انجاز مهمّته الصّعبة بقطع حبل الصاري عن الدّقل لإنقاذ الجميع من الغرق ذلك الجزاء من طرف "الرّيس عبدوش" (ذ2) الذي كان يسعى إلى التّخلص منه في أيّ فرصة تسمع إلى ذلك بالقتل فاستغلّ موقف تعلّق سعيد (ذ1) بالحبل ليقطعه عليه، فكان "الرّيس عبدوش" (ذ2) يظهر للذّات (ذ1) سعيد الطّيبة، والخير، والمحبّة وهو (الظّاهر)؛ إذ قام بتوديعه وإيهامه بأنّه سيبقى على المركب لوحده وأنّه لا يخاف الموت

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 332،333.

غيـر أنّـه يريـد قتلـه بالاسـتعانة بالعامـل المسـاعد لديـه وهـو الوسـيلة أو الأداة (السّكين) لقطع الحبل عليه وإغراقه في البحر، وهذا في (الكينونة)؛ أي أنّه يكنّ لـه الشّر، والعداوة، والكره بسبب الغيرة، ومنـه تتحدّد أطراف المربّـع التّصـديقي كالآتي:

كينونة تضاد ظهور

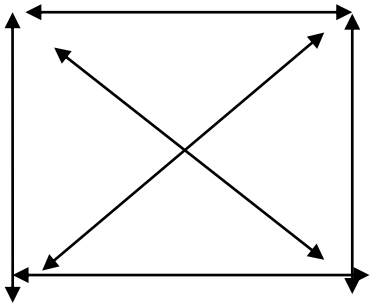

– الشر: محاولة (قتل سعيد) بقطع الحبل بالسّكين والدّافع هو الغيرة

– إظهار الطّيبة والخير والمحبّة لسعيد

لا كينونة

لا ظهور

تحت التضاد

– لا شر: (انتظار تعلّقه بالحبل).

– لا طيبة ولا خير وذلك بحمل الرّيس عبدوش السّكين معه وتوديعه.

وينتهي طور الجزاء بفشل البرنامج السّردي للذّات "سعيد" حيث تغرق المركـب، وينجـو "سـعيد" مـن الغـرق وتجرفـه ميّـاه البحـر إلـى أحـد المراكـب التي تعود بـه إلـى أرض الوطن ويفشل في العثور على والده. لم يمت "سعيد حزوم" في تلك العاصفة ونجا من الغرق وبعودته إلى أرض الوطن كانت العودة من جديد إلى نقطة البداية: «**أنا لم أمت في تلك العاصفة أيّها البحر**»[1] (...) «**لا أحد يدري المصير الذي انتهى إليه الرّيس عبدوش ومركبه... قرأ البحّارة**

[1]– حنا مينـة، الكتـاب الثالـث المرفأ البعيد (مـن حكايـة بحـار)، دار الآداب، بيروت، ط 4 1997، ص 05.

في الميناء الفاتحة على أرواح الجميع أنا فقط تمكّنت من النجاة»[1] (..) «فلم أكن أنتظر تلك الخشبة التي ساقها إليّ القدر والتي تعلّقت بها يومين كاملين حتّى أنقضني مركب مسافر انتشلني وهو في طريقه إلى الجنوب (..) قالوا لي أقصد ميناء الإسكندريّة وقصّ عليهم ما جرى معك، إذا كان الرّيس عبدوش، قد نجا فستجده هناك... وإذا صادفك الحظّ فعثرت على والدك تكون قد بلغت هدفك من الرّحلة كلّها»[2].

لكن "سعيد" لم يعثر على والده في ميناء الإسكندريّة «**لم أعثر على والدي في الإسكندريّة، أكدّ ريّاس الميناء والبحّارة أنّهم لم يروا ولم يسمعوا بغريب اسمه صالح حزوم (..) وعندما يئست من العثور عليه قررت العودة إلى الوطن...»[3]** .

وبذلك نلاحظ فشل البرنامج السّردي المعرفي الرّئيس للذّات "سعيد حزوم" في العثور على والده في هذه الرّحلة، فعاد إلى (اللاذقيّة) أرض الوطن. «**وجدت خبر الكارثة صار من المنسيّات في مدينتي... ظهوري بعد شهور من حادث الغرق كان مفاجأة أذهلت الجميع، وجدت أمي تلبس السواد»[4].** وأمّا علاقته مع الموضوع "كاترين الحلوة" فقد تغيّرت بعد ذلك إذ أصبحت تشكّ بأنّ (ذ1) "سعيد" له علاقة في غرق (ذ2) "الرّيس عبدوش"، حيث نجد "سعيد"

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 11.

[2]– المصدر نفسه، ص 14.

[3]– المصدر نفسه، ص 14، 15.

[4]– المصدر نفسه، ص 15.

يقول «**وقد تغيّرت علاقتها بنا لحدس خاطئ هو أنّ سفرتي مع زوجها كانت شؤما عليه أو أنّ لي يدا في غرقه بسبب ما تعرفه هيّ وحدها من علاقتها بي، ومن ظنون الرّيس عبدوش حول هذه العلاقة، ومن عداء ومنافسة بيننا**»[1]. (...) «**فإذا أنا في ورطة الاتّهام، أنا ظلّ لاكتساب الثّقة والحفاظ على سمعة جديرة بي كبحّار (..) وجدت أنّ الصّدق في الحديث مع كاترين الحلوة أكثر فائدة لي أدعى لراحتي...**»[2] (...) ،«**وحين انتهيت من قصتي ألقت في وجهي هذا الحكم: – أنت قتلت الرّيس عبدوش!**»[3]

"فكاترين الحلوة" لم تصدّق كلام "سعيد" وتعتقد بأنّه كان يمثّل شؤما على البحّارة وعلى زوجها حينما سافر معه في هذه الرّحلة البحريّة، وترى بأنّ له يدا في غرقه، فهيّ لا تصدّقه فقامت بتقييم فعل الذّات (ذ1) "سعيد" بعد سماعها للقصّة كاملة باتّهامها له بقتل زوجها "الرّيس عبدوش" إذ تغيّرت معاملتها لتزعزع ثقتها به في البعد الاستيثاقي فانتقلت من حالة ثقة وصدق إلى حالة عدم الثّقة وصدق بعد حادث غرق زوجها، فهي ترى بأنّ "سعيدا" كاذب في كلامه وأنّه قتل زوجها لأجل الحفاظ على علاقته بها، ونتيجة لتغير علاقة (ذ3) "كاترين الحلوة" بالذّات (ذ1) بعد هذا الحادث الأليم نجد "سعيد" قد أصيب بأزمة نفسيّة حادّة «**الآن وأنا في أزمتي النّفسيّة بدت لي الحياة رخيصة ...**»[4]. ونجد عاطفة الأسى والحزن في البعد الاستهوائي

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 21.

[2]– المصدر نفسه، ص 23.

[3]– المصدر نفسه، ص ن.

[4]– المصدر نفسه، ص 39.

كما في قول"سعيد": «**رغبت في البكاء، بكيت دون دموع تراءى لي والدي بوجهه المهيب ورجولته الفيّاضة...**»[1].

ونلمس شعور "سعيد" بالنّدم وعذاب الضّمير لخيّانته لوالده في الملفوظ السّردي: «**سيعرف أنّني خنته مع كاترين الحلوة (...)، والرّيس الذي عملت معه تسبّبت في غرقه (...) هذه هيّ حياتي لا بحر ولا نضال**»[2]. وكما يشعر بالفشل والضّياع في داخله وهو بداية تدهور في حالته التي ستتطوّر إلى أزمة نفسيّة بعد ذلك كما في قوله: «**كان ذلّ داخلي يفترسني كان شعور معذّب بالضّياع يجعل الدّنيا مضبّبة في نظري من أنا؟ ماذا فعلت؟ لماذا يلاحقني الفشل؟ لم أكمل تعليمي، لم أعثر على جثّة والدي، لم أجده حيّا، لم أثبت أقدامي في الميناء ولا في البحر، لم تدم لي عزيزة ولا كاترين الحلوة**»[3].

وبذلك تتصاعد الوتيرة النّفسيّة لدى "سعيد" إذ يسيطر عليه عامل نفسيّ واستهوائي قويّ متمثّل في الشّعور بالذّنب وعذاب الضّمير وبالفشل في كلّ شيء في البحث عن والده، وبأنّ يكون بحّارا. وبأن يفوز "بكاترين الحلوة"، فالذّات الاستهوائيّة "سعيد" في حالة يأس وتذمّر من كلّ شيء يسيطر عليه شعور بالذّنب والضّياع والفشل، وهذا قد يؤدّي به إلى الهلاك، ومنه كيف

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 40،41.

[2]– المصدر نفسه، ص 41.

[3]– المصدر نفسه، ص 43.

يمكن "لسعيد" تحقيق موضوع القيمة (البحث عن والده) في هذه الحالة اليائسة؟.

1-1- الخطاطة الاستهوائيّة:

وبعد تحديد الخطاطة السّرديّة للبرنامج السّردي المعرفي للذّات "سعيد" في المرحلة الثّانيّة، نقف على مراحل الخطاطة الاستهوائيّة للبرنامج الاستهوائي بالانتقال من المستوى العميق الدّاخلي النّفسي الكامن للذّات الاستهوائيّة "سعيد" إلى المستوى السّطحي المتمظهر الخارجي لها وكذا علاقته بالذّوات: "الرّيس عبدوش" و"كاترين الحلوة"، ويمكن تحديد مراحل الخطاطة الاستهوائيّة كالآتي:

1- الانكشاف الشّعوري:

نلمس شعور الذّات الاستهوائيّة "سعيد" بوجود أمل في العثور على والده في مكان ما، وذلك لعدم العثور على جثّته في الباخرة الغارقة «**عليّ أن أؤكّد أنّ والدي لم يمت ثمّ إنّه لم يمت حقيقة، لو مات فأين جثّته؟**»[1]. وبذلك يقرّر السّفر مع "الرّيس عبدوش" وأمّا في علاقته بالموضوع "كاترين الحلوة" نجد الذّات الاستهوائيّة "سعيد" متعلّقة "بكاترين الحلوة"، فهو في أشدّ التّعلّق أو الوله الشّديد بها حيث أفضى هذا التّعلق إلى الحبّ، وفي المقابل نجد (ذ2) "الرّيس عبدوش" في حالة «شكّ وخشية إلى تشويش استيثاقي يغيّر من المعطيات

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص25.

الأصليّة للتّعلّق، إنّ التّعلّق يفترض فعلا واجب كينونة يؤسّس الثّقة، وليس ثقة بيذاتيّة فبالإمكان التّعلق بموضوع وستكون ثقة معمّمة إمكانيّة إعطاء الذّات معنى لحياتها. إنّ بروز الغرم في أفق التّعلّق يشكّك في هذه الثّقة إلى درجة أنّ العلاقة مع الموضوع يمكن أن تتأثّر بذلك: فتحت تأثير الغرم يتحوّل التّعلّق إلى حيطة»[1]، وشكّ لوجود خيانة ناتج عن التّشويش على الثّقة الخاصّة بالتّعلّق[2]. فتتزعزع الثّقة في البعد الاستيثاقي بين (ذ2) الزّوج "الرّيس عبدوش" في علاقته مع الموضوع (ذ3) كاترين زوجته لوجود الشّك في علاقتها مع الغرم أو المنافس سعيد (ذ1) الذي يؤثّر على التّعلّق، فشكّ يؤثّر ويزعزع الثّقة في الموضوع لوجود خيانة.

2- الاستعداد:

يزداد الأمل لدى الذّات الاستهوائيّة في العثور على والده ويسافر مع "الرّيس عبدوش" إلاّ أنّ هوى الذّاتيين (ذ1) "سعيد" و (ذ2) "الريس عبدوش" حول الموضوع "كاترين الحلوة" (ذ3) كانا في حالة عذاب، الأوّل للفراق والحنين إليها، والثّاني للشّك ولوجود خيّانة. ويتمظهر هوى الغيرة في كينونة (ذ2) «إذ يضمّ في ثناياه خلاصة المفترضات: التّعلّق وامتلاك حصري وحيطة وإن الشّرف يصنّف ضمن الافتراضات التي تمكّن الذّات من تمجيد نفسها بما يثير الغيرة بما يفترضه التّحول الانفعالي ويبعثه من جديد باعتباره هوويّة

---

[1]- ألجيرداس.ج. غريماس وجاك فونتنيي، سيميائيات الأهواء من حالات النفس إلى حالات الأشياء، ص258

[2]- المرجع نفسه، ص 262.

كيفية»[1]، ويتمظهر الاستعداد للذّوات بوجود جهات الفعل (الإرادة، والواجب والقدرة، والمعرفة) للفعل الانفعالي، حيث نجد الجهات المضمرة للفعل الاستهوائي (الإرادة والواجب) المحدّدة للتّأسيس من خلال شعور الذّات الاستهوائيّة "سعيد" بالشّوق والحنين نحو الموضوع "كاترين الحلوة"، «ويكون الحبّ الموجّه الوحيد للفعاليّة»[2]، هي حالة أدّت إلى اتّصال الذّات الاستهوائيّة في البعد الاستهوائي على الرّغم من السّفر ولوجود (معرفة وقدرة) الفعل المحدّد للتّأهيل؛ إذ صارت الذّات الاستهوائيّة متعلّقة وشديدة الوله بالموضوع "كاترين" والرّغبة في الامتلاك الحصري، وفي المقابل نجد الذّات "الرّيس عبدوش" (ذ2) الغيور ينتقل من الشّعور بالشّك إلى الشّعور بالخوف «والخوف وحده لا يفترض سوى معرفة أو اعتقاد، انتظار مكيّف في الوقت ذاته وفق مبدأ الصّراع من خلال القدرة على الكينونة (الاحتمال)، ومن خلال إرادة عدم الكينونة (الرّفض) وفي المقابل»[3]، فإنّ الذّات تنتقل في جهات الفعل من وجود (إرادة، وواجب الفعل) إلى (معرفة وقدرة الفعل) الذي يتمظهر بوجود القلق.

وبذلك «تصبح الغيرة مع القلق خاصيّة للذّات ذاتها وباعتبارها طريقة في وجود الغيور فإنّها تدرج ضمن الأهليّة (...)، وكما يحتفظ القلق في مقارنته

---

[1]– ألجيرداس.ج.غريماس وجاك فونتنيي، سيميائيات الأهواء من حالات النفس إلى حالات الأشياء، ص 291.

[2]– أنس شكشك، علم النفس العام القوى النفسية المعرفية والقوى النفسية المحركة للسلوك ص 15.

[3]– ألجيرداس.ج.غريماس وجاك فونتنيي ،سيميائيات الأهواء من حالات النفس إلى حالات الأشياء، ص 260.

بالرّيبة بموقع توليدي ذلك أنّ الرّيبة ليست سوى مرحلة هشّة في الغيرة أو القلق (...) وإنّ الإرادة والمعرفة والقدرة والواجب يمكنها كلّها أن تولّد القلق»[1] وإذا كان القلق يؤثّر في التّعلّق فإنّه يؤثّر على واجب الكينونة ويمكن أن نتحدّث في هذه الحالة عن (همّ) وبالفعل فالهمّ هو صورة هجينة ناتجة عن لقاء بين التّعلّق والقلق (...) فالهمّ يتّخذ شكل قلق استوعب الجوهر الكيفي للتّعلّق[2].

3- القطب الاستهوائي: شعور الذّات الاستهوائيّة بهبوط الهمّة وفقدان المقدرة والوحدة والفردانيّة أثناء دخوله إلى السّجن لثلاث سنوات، ولقد كان العامل المساعد الاستهوائي هو وشم المركب على زنده حيث كان للوشم دورا استهوائيّا في التّأثير على الذّات في تحسين الحالة النّفسيّة لها ومساعد أيضا في تذكّر "سعيد" والده والبحر، وفي علاقة الذّوات نجد "سعيد" (ذ1) متعلّقة بالموضوع "كاترين الحلوة" (ذ3)، حيث «يستقطب هوى الحب كوكبة من الأهواء المتسلسلة بطريقة منطقيّة: (الإعجاب، والميل، والحماس، والتّعلّق الشّديد ثمّ يستتبع ذلك تحوّلا أساسيّا إقامة العلاقة)»[3] مع الموضوع "كاترين الحلوة" (ذ3) حين كانت الذّات "سعيد" في اللاّنقيّة فتكشف لنا حضور الكيفيّات (واجب

---

[1]- ألجيرداس.ج.غريماس وجاك فونتنيي ،سيميائيات الأهواء من حالات النفس إلى حالات الأشياء، ص 260.

[2]- المرجع نفسه، ص ن.

[3]- ينظر: محمد الداهي، سيميائية السرد بحث في الوجود السيميائي المتجانس ص 188.

وإرادة الكينونـة) و(قدرة ومعرفـة الكينونـة) الملائمـة للأهواء التـي تحدّد درجـات الهوى بين القوّة والضّعف في حضور الكيفيّات كما في الشّكل الآتي[1]:

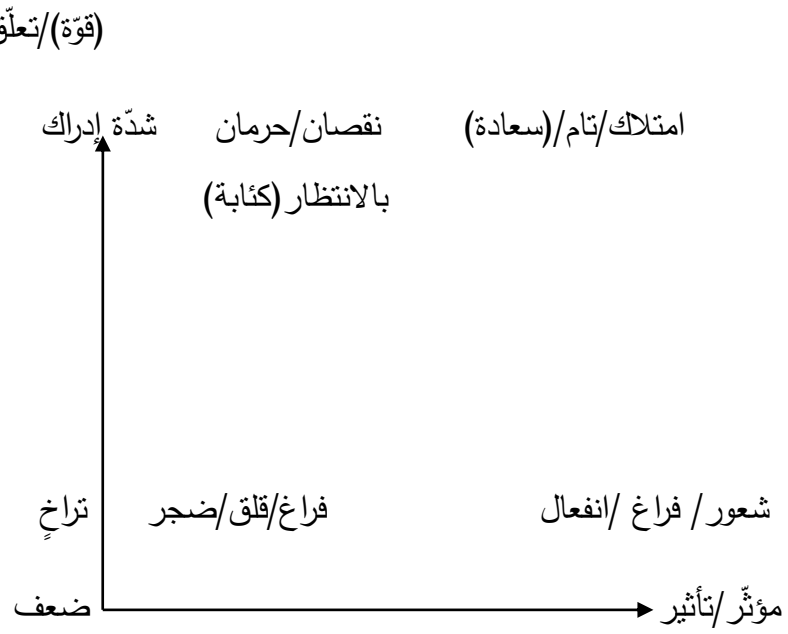

(بعد استهوائي) – الامتداد والكميّة (الكثافة) تكشف حضور الكيفيّات –

فـي حالـة اتّصـال وامـتلاك الـذّات للموضـوع (ذ3) تكـون الـذّات الاستهوائيّة فـي حالـة قوّة وفـي حالـة الفراغ والانفصـال عـن الموضـوع يشكّل ذلـك انفعـال وقلـق للحرمـان مـن الموضـوع (ذ3) فتشـعر الـذّات الاسـتهوائيّة بالضّعف النّفسي فالاتّصال أو الاتّصال بالموضوع بمعنى الامتلاك أو الحرمان منـه يحـدّد الدّرجـة الاسـتهوائيّة للـذّات بـالقوّة أو بالضّـعف. فالانتقـال مـن حالـة

[1]– Voir, Jacques Fonntanille, Sémiotique et Littérature Essais de Méthode, p:77.

استهوائيّة إلى حالة أخرى يحدّد المآل للتّغيّرات الاستهوائيّة ويتجلّى ذلك في الأزمة النّفسيّة للذّات.

وأمّا الذّات(2) الغيور فتظهر عليه «الكثافة باعتبارها (حرارة) شعورا أصبح استعدادا للقيّام بالفعل»[1]، وهو الانتقام، والانتقام هوى قويّ يعرف من درجة اختلاف العواطف ويمكن تمثيلها كالآتي[2]:

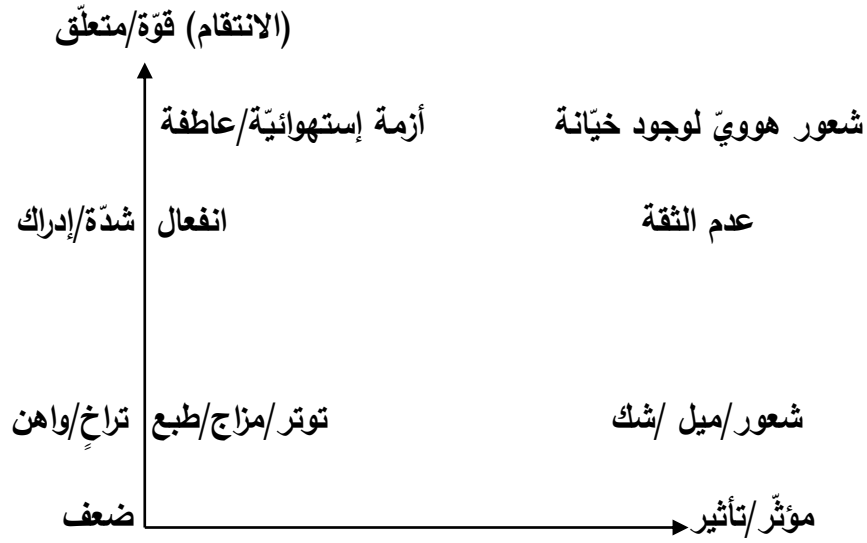

- ***العواطف الأربعة*** -

---

[1]- ينظر: ألجيرداس.ج.غريماس وجاك فونتيي، سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، تر: سعيد بنكراد، ص250.

[2]- Voir, Jaques Fontanille,Sémiotique et Littérature Essais de Méthode, p78.

يتشكّل هوى الانتقام كانفعال قويّ بتصاعد الجانب التّوتري للذّات الاستهوائيّة بداية بوجود مثير التّوتر من خلال ميل واهتمام "كاترين" الموضوع (ذ3) بالذّات "سعيد" (ذ1) وتأجيل سفره للمرّة القادمة، أدّى هذا إلى شّك (ذ2) "الرّيس عبدوش" حول اهتمام "كاترين" "بسعيد" فبثّ الشّك التّوتّر والقلق وتغير المزاج في البعد الاستهوائي، وكما زعزع الثّقة بين الذّات (ذ2) والموضوع (ذ3) في البعد الاستثاقي فشكّل ذلك شعور هوويّ لوجود خيّانة زوجيّة ممّا دفع شدّة الانفعال في الكينونة إلى أزمة استهوائيّة محفّزها الغيرة الشّديدة على زوجته نحو قوّة الغضب في الانتقام، فشكّلت الأهواء تغيّرات الحالة من ثقة إلى انعدامها ومن الهدوء إلى الانفعال الشّديد نحو الانتقام. وكشفت لنا تغيّرات الحالة الاستهوائيّة من حالة إلى حالة أخرى المآل الذي تجلّى في فعل الانتقام بمحاولة القتل وذلك بقطع الحبل على "سعيد" لإغراقه في البحر.

3- **العاطفة:** سيطر على الذّات الاستهوائيّة "سعيد" هاجس إيجاد والده في مكان ما، حيث يزداد الإصرار لديه نحو السّفر والإبحار للبحث عنه في الإسكندريّة فتتحوّل عاطفة المحبّة إلى حدث استهوائي وذلك بالسّفر على مركب "الرّيس عبدوش" للبحث عن "صالح حزوم"، وكما توضّح الخطاطة الاستهوائيّة من جهة ثانيّة توتّر الذّات الاستهوائيّة في تغير المسار الاستهوائي إلى حدث محزن وهوّ شعوره بالعذاب والألم لبعده عن الموضوع (ذ3) "كاترين الحلوة" وخاصّة بعد غرق مركب "الرّيس عبوش" وعودته سالما بعد أشهر إذ اتّهمته "كاترين الحلوة" بقتل زوجها، فترفضه ممّا يسبّب للذّات أزمة استهوائيّة

حيث نجده يقول: «**الآن وأنا في أزمتي النّفسيّة بدت لي الحياة رخيصة... أحسّ بالسّقوط تدريجيّا ...**»[1]. وأمّا الذّات (2) الغيور فيحرّكه هوى الغيرة وشدّة الانتقام من "سعيد" إلى حدث استهوائي يتمثّل في حمل السّكين معه ومحاولة قطع حبل السنبوق على "سعيد" لكي يغرق معه كما في الملفوظ: «**وكانت السّكين معه وشيء كالنّار يبرز من عينيه والغيرة قد وشحت وجهه كلّه. رفع يده وانتظر... مدّها وانتظر... وحين صار سعيد في منتصف الطّريق قطع الحبل...**»[2]. ونجد هوى الغيرة تمثّل في فعل الذّات الغيور بقطع الحبل باستخدام السّكين كوسيلة، وتنكشف الغيرة بفعل جسديّ متمثّل في تغير وجهه وحركة اليد (الغيرة وشحت وجهه كلّه، شيء كالنّار يبرز من عينه، رفع يده... وانتظر. مدّها... وانتظر... قطع الحبل). فتغيّر حالة النّفس يؤدّي إلى تغيّر حالة الجسد حيث يتمظهر الانفعال من خلال: (ببروز عينه، وتغيّر وجهه، ورفع يده).

4- التّقويم الأخلاقي: ويشخّص التّقويم الأخلاقي بوصفه تركيبا للجوانب المتوتّرة، الفرديّة والجماعيّة للهوى، فلّما تصل الذّات إلى النّهاية تكون قد أظهرت لنفسها وللآخرين نتيجة التّحوّل الاستهوائي، تحدث العاطفة حدثا استهوائيّا ملاحظا وقابلا للتّقييم والقيّاس، ومن ثمّة تشيّد ملاحظة للمتواليّة برمّتها. فهذا الملاحظ هو الذي يقيم الهوى أخلاقيّا سواء باسم الثّقافة

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 39.

[2]- حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص333.

التي يمثّلها أو باسمه الخاص، وذلك في نطاق أنّه موّرط أو قابل للتّوريط داخل المشهد الاستهوائي[1].

ويبدأ التّقييم الأخلاقي أثناء إتّهام "كاترين الحلوة" الذّات "سعيد" بقتل زوجها "الرّيس عبدوش" لوجود اعتقاد خاطئ في حقّ "سعيد"، وكما نجد تقييما أخلاقيّا نفسيّا لدى الذّات "سعيد" وذلك من خلال «تعذيب الضّمير نتيجة مخالفة القوانين الأخلاقيّة وهو ألم أخلاقي يشعر به في قلبه د»[2]، حينما يتذكّر خيّانته لوالده مع "كاترين الحلوة" التي كانت في الماضي صديقة لوالده وأمّا بالنّسبة إلى التّقييم الأخلاقي لدى الذّات(2) الغيور "الرّيس عبدوش" فإنّ هوى الغيرة سيطر عليه إلى حدّ الانتقام. وكان تجسيد فعل الانتقام بقطع الحبل على "سعيد"؛ لكيّ يغرق ويموت وليحقّق العدالة في ذلك لكن شاء القدر أن ينجو "سعيد" من الغرق. إذ ينتشله مركب وينقذه من الغرق أمّا "الرّيس عبدوش" فينتهي به المطاف إلى الغرق مع مركبه فيموت «ولكن إذا وضعنا الاستحقاق ضمن الأهليّات الضّروريّة للغيرة كشفنا عن وجود (حقّ)»[3] عند الذّات(2) "الرّيس عبدوش" زوج "كاترين" فله الحقّ في الحفاظ على شرفه وكرامته، وكبريّاءه، ومروءته. وبذلك كان موضوع الصّراع "كاترين الحلوة"(ذ3)

---

[1]– ينظر: محمد الداهي، سيميائية السرد بحث في الوجود السيميائي المتجانس، ص179.

[2]– ينظر: أنس شكشك، علم النفس العام، القوى النفسية المعرفية والقوى النفسية المحركة للسلوك، ص123،114.

[3]– ألجيرداس.ج.غريماس وجاك فونتنيي، سيميائيات الأهواء من حالات النفس إلى حالات الأشياء، تر: سعيد بنكراد، ص281.

بـين الـذّات(ذ1) "سـعيد" والـذّات (ذ2) "الـرّيس عبـدوش"، كمـا فـي الصّـيغة الآتيّة:

(ذ1 ∪ (م) ∩ ذ2)

ولقد كانت رغبت الذّات(1) "سعيد" بعد وفاة الذّات(2) "الرّيس عبدوش" في صراع داخلي نفسيّ فتارة يرغب في امتلاك حصريّ للموضوع "كاترين الحلوة"، وتارة يبتعد عنها لشعوره بخيّانته لوالده معها، وبذلك نجد صراع الذّات الإستهوائيّة "سعيد" بين رغبة الهو والأنا الأعلى؛ إذ نجد في علم النّفس التّقسيم "الفرويدي" (الهو، والأنا، والأنا الأعلى) «الثّنائيّة القديمة لنظم اللاّوعي والوعي بشكل خاص بات مفهوم الأنا مركزيّا للنّظريّة التّحليليّة في علم النّفس ونجد "فرويد" يعتبر الهو (قِدرا من الأهواء) غير المركبيّة، ويرى "ب. جيل" مدعوما بأغلب علماء النّفس (الأنا) بأنّ (للّهو) نفسها بنية إذا لم تكن منطقيّة فهيّ على الأقل ما قبل منطقيّة، و(الأنا والهو) ليستا متناقضتين لكنّهما استمرارا ممّا يستتبّع أن تكون الثّنائيّة التي يراها "فرويد" بين مبدأ اللّذة ومبدأ الواقع والطّاقة المتحرّكة، والطّاقة المرتبطة، والسّيرورة الأوّليّة، والسّيرورة الثّانويّة هي أيضا استمراريّة، وينظر إليها انطلاقا من (الأنا والهو) كاستمرار تراتبيّ لقوى ولبنى موجودة على كافّة مستويات التّراتب هذا الافتراض حول الاستمراريّة يحبّب تماما عنصر الديالكتيك في المفهوم الفرويدي»[1].

---

[1]– أريك فروم، أزمة التّحليل النفسي، تر: طلال عتريسي، مجد للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1988، ص28.

ويمكـن أن نفسّـر شـعور الـذّات بالتّنـاقض بـين مـا هـو مكبـوت فـي اللاّشـعور(الهو) المعـارض للقـيّم الاجتماعيّـة وبـين (الأنـا الأعلـى) وهو ما يتكوّن لدى الذّات «بطريقة لا شعوريّة نتيجة تقمّص شخصيّة الآخرين وامتصاص سلوك الجماعة وهيّ تمثّل الأعراف والعادات والتّقاليد والأنظمة والقوانين السّائدة في المجتمع وتلعب دور الرّقيب لما يصدر عن (الهو) أو اللاّشعور فإذا كان مخالفا للمجتمع تقمعه وتكبته وتعيده لمنطقة (الهو) اللاّشعور»[1].

ومنه نجد الذّات الاستهوائيّة "سعيد" في تناقض وتداخل بين رغبة (الهو والأنا الأعلى) بمعنى بين رغبة (الهو) بالامتلاك الحصري للموضوع "كاترين الحلوة" وبين الرّقيب (الأنا الأعلى) الذي يربط ذلك بقيمة أخلاقيّة وبألم أخلاقي هو الشّعور بخيانته لوالده إذا امتلك الموضوع "كاترين الحلوة " إلاّ أنّنا نجد سيّادة (الهو) وتغلّبه على (الأنا الأعلى) لدى الذّات الاستهوائيّة في اللاّشعور، حيث يعرض "سعيد" الزّواج على "كاترين الحلوة" بعد وفاة زوجها (ذ2) "الرّيس عبدوش" إلاّ أنّ "كاترين الحلوة" ترفضه؛ لأنّها وجدته يختلف عن والده "فسعيد" بالنّسبة إليها لا يزال صغيرا كما في الملفوظ: «**كاترين حسمت الموقف أفهمتني منذ أوّل لقاء بها أنّ زواجي بها مرفوض قالت إنّها استبعدته من أوّل لحظة (أنت صغير بالنّسبة إليّ)... أخفت السّبب الحقيقي وهو أنّه لن تتزوج بحّارا فقيرا مثلي لا مركب** ولا **ثروة أو مكانة**

---

[1] – أنس شكشك، علم النفس العام القوى النفسية المعرفية والقوى النفسية المحركة للسلوك ص149.

لـــه»[1]، فيحـدث للـذّات الاسـتهوائيّة اضـطراب نفسـي وتسـوء حالتـه النّفسيّة ممّا تؤدّي بها إلى أزمة نفسيّة ومنه يمكن تحديد البنية العاملية للذّات كالآتي:

(كاترين الحلوة)

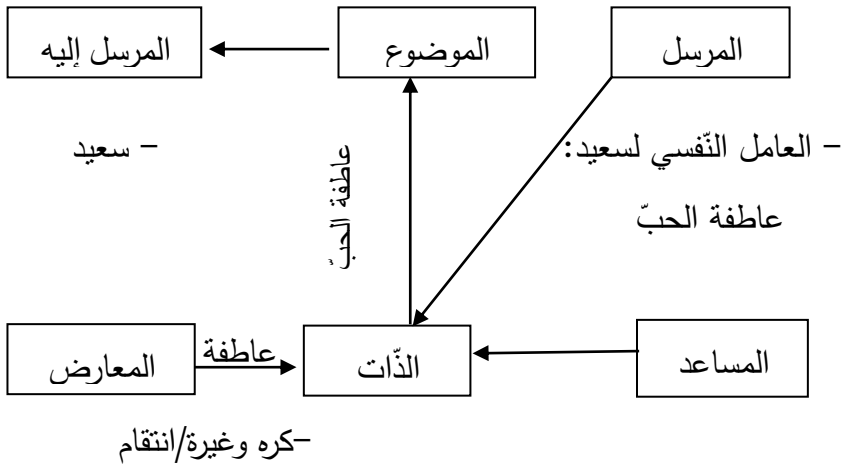

2-2- البرنامج السردي المساعد(2) (السفر على مركب الريس زيدان):

1-التّحريـك: تواصـل الـذّات "سـعيد" رحلتهـا نحـو تحقيـق موضـوع القيمـة (البحث عن والده) بالانتقال من وضعيّة اليأس والفشل إلى وضعيّة تفاؤل وأمل وثقة بالنّفس. ونجد العامل المساعد والمحرّك في هذا الانتقال من حالة نفسيّة سلبيّة إلى حالة نفسيّة إيجابيّة هو كلام البحّار العجوز الذي أثار في نفسيّة

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص141.

"سعيد" برفع معنويّاته والخروج من أزمته النّفسيّة وهذا ما نجده في حوار "سعيد" مع "البحّار العجوز" حيث يقول: «**قلت للبحّار العجوز:**

- لكنّهم يتّهمونني ظلما...

- ولهذا أقول لك لا تسأل، لو ارتكبت إثما كان يحقّ لك أن تحزن أن تندم، التّهم كثيرة والمظالم كثيرة، لكن الحقّ لا بد أن يظهر (...) قف وقفة رجل في أيّ معركة.... وعندئذ تجد المحبّة والاحترام والتّقدير..»[1].

ومن خلال كلام "البّحار العجوز" تعود الرّغبة من جديد من طرف الذّات "سعيد" في مواصلة حياته والعودة إلى السّفر والإبحار نحو تحقيق الموضوع الأساس (البحث عن والده) وهذا ما نلاحظه في نهاية حواره مع البحّار العجوز في المقطع الآتي:

«**- تريد الإبحار من جديد إذن؟.**

- هذا ما أرغبه...

- وإذا صادف وعرض عليك الرّيس زيدان أن تعمل معه؟.

- سأرفض... لن أعيد التجربة.

- لكن كاترين الحلوة تريد أن تتزوّج من جديد؟

- من الذي ستتزوّجه؟

- الرّيس زيدان ...»[2] .

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 46.

[2]- المصدر نفسه، ص 47.

كان "سعيد" يدرك بأنّ "كاترين الحلوة" لن تتزوّج ثانيّة إلاّ أحد ريّاس الميناء بعد وفاة زوجها "الرّيس عبدوش"، وهذا ما حصل فعلا إذ تزوّجت "الرّيس زيدان" وهذا ما ورد في حديث وكلام البحّار العجوز "لسعيد" في المقطع السّابق.

2- الكفاءة:

إنّ السّفر والإبحار في هذه الرّحلة صعب لأنّ البلاد على أبواب الحرب العالميّة الثّانيّة، ممّا يستوجب على الذّات امتلاك الكفاءة لتحقيق الموضوع (البحث عن والده)، ومنه فالذّات تمتلك جهات الفعل المحدّدة للتّأسيس والتّأهيل فتتمظهر الجهات المضمرة للفعل من (إرادة للفعل) حيث تمتلك الذّات الرّغبة في السّفر من جديد وكان العامل المساعد والمحرّك في ذلك (كلام البحّار العجوز) وتزداد رغبة الذّات تصميما وإصرارا حتّى بعد سماعها بوجود العامل المعارض "الحرب"، ونجد (إرادة الفعل) للذّات من خلال كلام "قاسم" "لسعيد":

«- وماذا تنوي أن تعمل؟

- لا أعرف... أفضّل السّفر في أيّ مركب..

- سيكون ذلك صعبا بعد اليوم... نحن على أبواب حرب.

- أيّة حرب هذه.

- الحرب العالميّة الثانيّة»[1].

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 54.

ونجد "سعيد" يقول إزاء ذلك في نفسه: «**لماذا أغلق البحر وسدّ عليّ أبواب السّفر؟، سأسافر، سأسافر، سأسافر ..**»[1]. (...) «**إذا دخلت فرنسا أغلقت الميناء... صار البحر خطرا على الجميع...**»[2].

إنّ الحرب العالميّة الثّانيّة ستكون عاملا معارضا أمام مهمّة الذّات "سعيد" في فعل الإنجاز لتحقيق الموضوع (البحث عن والده). فمهنة البحّار صعبة أثناء الحرب لذلك ستتوقّف المراكب، والميناء يتوقّف عن العمل. وهذا ما نجده في كلام "قاسم" "لسعيد" حين قال له: «– **ولكن المراكب تسافر.**

– **قريبا تتوقّف، جرّب أن تفهمني...**

– **لا تنسى أنّني أبحث عن والدي...**

سيكون البحث مستحيلا بعد الآن... لن يكون سفرا كالسّابق...

– **أمّا بالنّسبة إليّ فسيكون...سأسافر بأيّ شكل، وأبحث في كلّ مكان**»[3] .

رغم خطورة الوضع في البلاد التي على أبواب الحرب العالميّة الثّانيّة إلاّ أنّ واجب فعل "سعيد" هو مواصلة البحث عن والده، وبعد امتلاك الذّات للجهات المضمرة المحدّدة للتّأسيس نجدها أيضا تمتلك الجهات المحيّنة التي تقوم على عنصرين هما: (معرفة الفعل، وقدرة الفعل)، فعنصر المعرفة

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 59.

[2]– المصدر نفسه، ص 75.

[3]– المصدر نفسه، ص 58.

يتمظهر في اكتشاف الذّات "سعيد" ومعرفته صعوبة السّفر وخطورته أثناء أجواء الحرب بعد سماع كلام "قاسم" حيث قال له: «- **هتلر احتلّ تشيكوسلوفاكيا (...)- يعني أنّه يحتّل أوربا بلدا بعد الآخر (..) ما هو أن تعرف أنّ فرنسا بحجّة الحرب باقيّة في سورية...**»[1].

وعلى الرّغم من معرفة الذّات صعوبة الأجواء في الميناء وما ستؤوّل إليه البلاد من أوضاع الحرب إلاّ أنّها زادت من امتلاك القدرة والقوّة من جديد في مقاومة (الفشل واليأس) الذي كانت تعيشه الذّات "سعيد"، وبذلك تتمظهر القدرة على السّفر بالرّغم من الظّروف السّيئة نحو قوله: «**تجمّعت الظّروف السّيئة عليّ، كادت تقهرني لكنّني لم أقهر (...) غدا أبحر أجل سأبحر! هذه هيّ المهنة التي اختارها لي (..) سأكون بحّارا .... سأعمل مع الرّيس زيدان**»[2] (..) «**نوبة اليأس انقضت، الأزمة مرّت، استعدت ثقتي بنفسي كبحّار**»[3].

ولعلّ سفره مع "الرّيس زيدان" زوج "كاترين" يساعده على العثور على والده من جهة ومن جهة ثانيّة يساعده السّفر على محاولة نسيان "كاترين الحلوة" بالابتعاد عنها.

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 54.

[2]- المصدر نفسه، ص 84.

[3]- المصدر نفسه، ص133.

وبـامتلاك الـذّات الكفـاءة يبقـى فـي انتظـار الفرصـة المناسـبة للسّـفر ومقاومة العامل المعارض (الحرب) للإبحار «**بقينا كذلك حتّى أعلنت الحرب العالميّة الثّانيّة، كان إعلانها بالنّسبة لمن في الميناء، يقابل بغير اكتراث بعد شهور ذعروا لإقفال البحر، وتوقّف الحركة في الميناء توقّفا كاملا لا سفن تأتي، ولا سفن تروح .... والبطالة تتّسع**»[1].

إنّ بامتلاك الذّات الجهات المضمرة والجهات المحيّنة كان ذلك مؤهّلا لعمليّة الإنجاز (السّفر) لتحقيق موضوع القيمة لديه (العثور على والده) ويمكن لنا توضيح جهات الفعل للكفاءة كما في الجدول الآتي:

الإنجاز	**الكفاءة**	
الجهات المحقّقة	الجهات المحيّنة	الجهات المظمرة
– فعل التّحول التّحقّق	– معرفة فعل السّفر – قدرة فعل السّفر التّأهيل عامل الذّات "سعيد"	– إرادة فعل السّفر – واجب فعل السّفر التّأسيس

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 133.

3- الإنجاز:

وبجود العامل المعارض (الحرب) صعب الإنجاز. حيث تغيّرت الأوضاع في المدينة والميناء وانتقلت من حالة حركة وعمل إلى حالة هدوء وسكون وخوف، ومن ذلك الملفوظ: «**في المدينة صراع، في البرّ صراع في البرّ صراع، في البحر صراع، الشّواطئ غير آمنة... ظهرت الغواصّات الألمانيّة...غرقت سفينة يونانيّة... البحر أقفل تماما...غوّاصات انكليزيّة شوهدت على الشّاطئ**»[1]. وبالرّغم من هذه الصّعوبات إلاّ أنّ الذّات "سعيد" سافر مع "الرّيس زيدان" على مركبه «**صار الرّيس زيدان مندفعا الآن يتكلّم عن ميوله السّياسيّة دون خوف يناصر ألمانيا علنا، ينفق الأموال الطّائلة يساعد البحّارة العاطلين عن العمل ... وحتّى البضائع التي يشحنها على مركبه لا أعرف إلاّ أنّها صناديق لا أدري ما بداخلها وقد أصبح يسافر كثيرا**»[2].

لقد قام الذّات "سعيد" بعمليّة الإنجاز وبالسّفر مع "الرّيس زيدان" متحدّيا أجواء الحرب، ويمكن أن نحدّد البنية العامليّة كالآتي:

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 135.

[2]- المصدر نفسه، ص 138.

- البحث عن والده

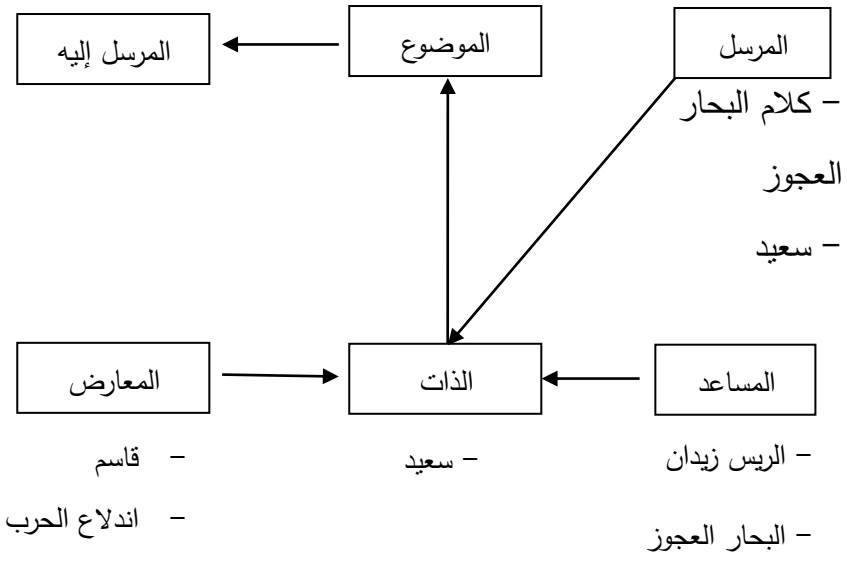

4- الجزاء:

إذا كان الجزاء هو تقييم الفعل المنجز من طرف الذّات الفاعلة فإنّنا نجد ذلك في البعد التّداولي، حيث كشفت السّلطات الفرنسيّة طبيعة عمل "الرّيس زيدان"، وغيره فقامت بالاعتقال كما في المقطع: «**أعتقل بعض الزّعماء، (...) وجاء حساب الرّيس زيدان ومركبه ... ففي إحدى سفراتنا على طول الشّواطئ باتّجاه مصر، نسفت غوّاصة مجهولة (وقيل إنّها انكليزيّة) المركب، قتل الرّيس زيدان، وبعض بحّاراته، نجوت مع النّاجين**

لم أكتشف سرّه حتّى الآن لكن الحزن عليه في الميناء كان كبيرا، اعتبر واحدا من الذين ضحّوا بحياتهم في سبيل الوطن»[1].

إلاّ أنّ الذّات "سعيد" وبعد ذلك الحادث (موت "الرّيس زيدان") يكتشف عمله فينتقل الذّات من الكينونة بمعرفة عمل "الرّيس زيدان" قبل موته إلى الظّهور حيث يكتشف طبيعة عمله بعد وفاته، كما في الملفوظ : «**اعتبروا موت الرّيس زيدان أمرا لا بدّ منه بسبب ما كان يقوم به من أعمال خطيرة أنا لم أعرف ماذا كان يعمل، وإن كنت في ذاتي قد شككت بأنّه يهرّب سلاحا إلى فلسطين، كان يعمل ضدّ الانكليز (..) الرّيس زيدان كان سياسيّا....»**[2].

ومنه يمكن أن نحدّد كينونة عمل "الرّيس زيدان" قبل موته وظهور طبيعة عمله بعد موته عند الذّات "سعيد" واكتشاف الحقيقة التي كانت كامنة ولعلّ معرفة الذّات "سعيد" طبيعة عمل "الرّيس زيدان" زاد ذلك من رفع شأن هذا الأخير في نظر "سعيد" إذ وجد بأنّه كان يعمل مع بطل حقيقي مع رجل مناضل يخاطر بحياته، ويمكن أن نحدّد الظّهور والكينونة في البعد المعرفيّ للذّات "سعيد" كما في المربّع التّصديقي الآتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 140.

[2]– المصدر نفسه، ص 159.

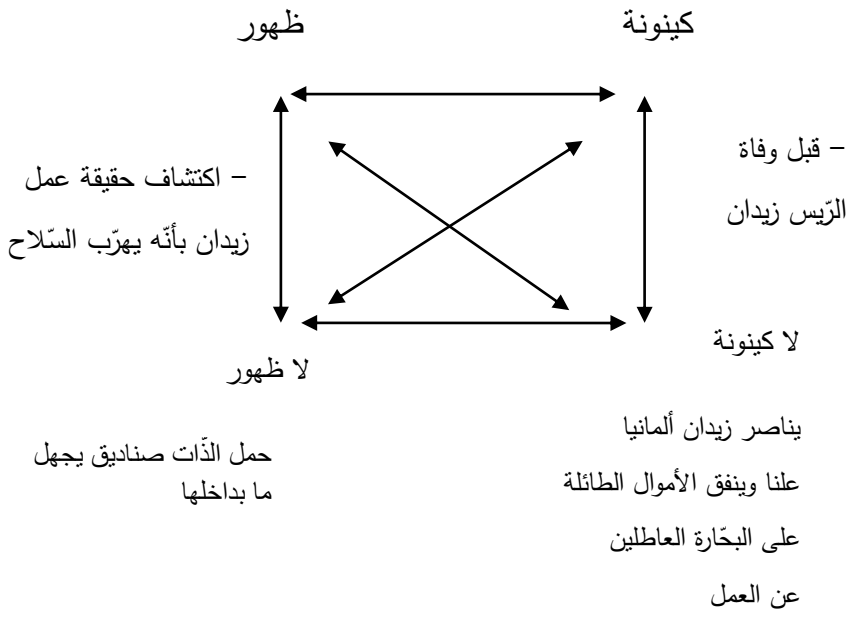

وكما نجد في الجزاء صراعا داخليّا لدى الذّات "سعيد" في البعد المعرفيّ بين (العقل والقلب) فهو يظهر عدم الاهتمام "لكاترين الحلوة " ولكنّه يكذب إزاء ذلك، إذ يجد نفسه يفكّر بها، وهذا ما نجده في قوله: «**كنت كاذبا، التّفكير شيء، والعمل شيء آخر، والدي يقرن التّفكير بالعمل أنا أيضا نويت أن أفعل هذا(..) خاصّة فيما يتعلّق بالبحر، كنت صادقا لم أكذب، إلا فيما يتعلّق بكاترين الحلوة هذه جعلتني أكذب، جعلت نفسي تخدعني (...) أعتزم الخلاص، القطيعة البعد إلى آخر العمر، وفجأة أجد نفسي كاذبا ...**»[1] .

[1]– حنا منية، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 161.

فبعد أن رفضته "كاترين" وتزوجّت "بالرّيس زيدان" قرّر الابتعاد عنها لكنّه في داخله لا يستطيع ذلك، فهناك إذن للذّات وضعيّة صادقة حين يفكّر بالبحر والعائلة والعمل، ولكن حين يفكّر"بكاترين الحلوة "يكون في وضعيّة كاذبة، فهو يظهر عكس ما يخفيه نحو"كاترين الحلوة "، ويمكن أن نوضّح ذلك كالآتي:

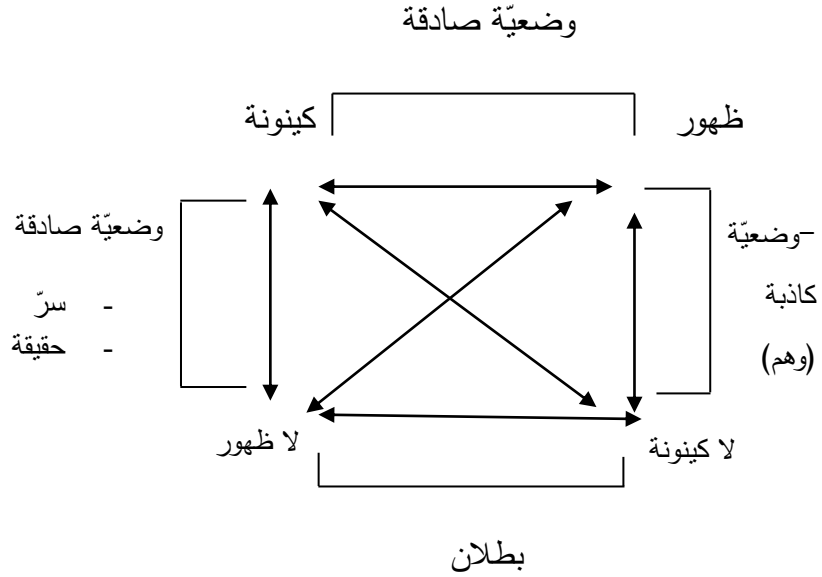

وينتهي الجزاء بموت "الرّيس زيدان" الذي اعتبره "سعيد" بطلا وشهيدا «فالموت هو شيء طبيعيّ، الموت هو موتنا نحن ومع ذلك لا نفكّر فيه إلاّ بوصفه موت الآخرين المهمّ أن نستمر في الإبحار الحرب تواجه الإنسان بالموت وتجبره على الاعتراف به، الموت كالدّافع للتّفكير، الموت عند البدائي فكرة الرّوح والخلود والشّعور بالذّنب لا شعورنا البدائي تفضحه

الحروب»[1]، فنشوب الحرب في البلاد وموت "الرّيس زيدان" وهذه الظّروف المتقلّبة جعلت الذّات "سعيد" في البعد الاستيثاقي يستعيد ثقته بنفسه ويعود إلى العمل وإلى البحث عن والده في البعد المعرفيّ وأمّا في البعد الاستهوائي فهو متردّد بين الابتعاد عن "كاترين" أو العودة إليها بعد رفضها له.

2-2-1- الخطاطة الاستهوائية:

تتمظهر أطوار الخطاطة الاستهوائيّة للذّات الاستهوائيّة "سعيد" للبرنامج الاستهوائي لديها المتمثّل في (الأمل في إيجاد والده) واليأس من عدم إيجاده ونحو موضوع (كاترين الحلوة) بين الأمل في الامتلاك الحصري والعودة إليها وبين الابتعاد عنها واليأس من امتلاكها، يمكن توضيح مراحل تطوّر الخطاطة الاستهوائيّة للذّات كالآتي:

1- الانكشاف الشعوري:

ونلحظ الانكشاف الشّعوري للذّات بعد انقضاء الأزمة وانتقال الذّات الاستهوائيّة "سعيد" من وضعيّة سلبيّة الشّعور بالفشل والحزن واليأس إلى وضعيّة إيجابيّة الشّعور بالثّقة والأمل والحماس وعودة الرّغبة من جديد للذّات نحو السّفر، نحو تحقيق الموضوع في البرنامج الاستهوائي (الأمل في العثور على والده)، لذلك سافر "سعيد" مع "الرّيس زيدان" وفي نفس الوقت

---

[1]- سيجموند فرويد، الحب والحرب والحضارة والموت -دراسة-، تر: عبد المنعم الحفني دار الرشاد، القاهرة، ط1، 1992، ص27.

نجد الذّات الاستهوائيّة تتعذّب بين الحنين والشّوق إلى "كاترين الحلوة" وبين محاولة الابتعاد عنها.

2- الاستعداد:

استعادت الذّات الاستهوائيّة ثقتها في البعد الاستيثاقي كما في النّص: «**نوبة اليأس انقضت الأزمة مرّت استعدت ثقتي بنفسي كبحّار ...**»[1] وبذلك عاد الأمل "لسعيد" من جديد في العمل كبحّار والسّفر مع "الرّيس زيدان"، وبالعودة إلى"كاترين الحلوة"، واليأس من ذلك في آن واحد وهذا ما جعل الذّات الاستهوائيّة تعيش ازدواجيّة الشّعور نحو الموضوع (كاترين الحلوة) بين الحبّ والكراهيّة وتتحدّد هذه الإزدواجيّة عند "فرويد" باعتبارها «الشّعور القويّ بالحبّ والكراهيّة معا لنفس الموضوع والإصطلاح – (Ambivalence of Feeling) إزدواجيّة الشّعور – استخدمه "بلولر" أوّلا (1911) يصف به التّذبذب العاطفي والتّأرجح من الحبّ إلى الكراهيّة لنفس الموضوع وما يزال بعض المحلّلون يصفون الشّخص الذي لم يستقر عاطفيّا بأنّه مزدوج الشّعور أو متذبذب عاطفيّا»[2].

ولعلّ هذا التّذبذب في الشّعور بين الأمل واليأس والحبّ والكراهيّة يتمظهر في قول "سعيد": «**أي شوق إليها مازال يعيش في صدري؟**

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 87.

[2]- ينظر: سيجموند فرويد، الحب والحرب والحضارة الموت (دراسة)، تر:عبد المنعم الحفني، ص17.

لقد أحببتها وكرهتها. لكنّني كنت أسيرها. كانت جزءا من حياتي البحريّة...»[1].

3- القطب الاستهوائي:

الرّغبة الشّديدة في السّفر والإبحار لمواصلة بحثه عن والده بالرّغم من وجود أجواء الحرب، وغلق الميناء والبحر، والرّغبة في العودة إلى "كاترين" كان كلّ ذلك هاجس لدى "سعيد" يسيطر عليه.

4- العاطفة:

التّغلّب على عاطفة الخوف من الحرب والسّفر مع "الرّيس زيدان" بكلّ ثقة وعزيمة عدّة مرّات، وتتحوّل العاطفة إلى حدث استهوائي بالحزن الشّديد على "الرّيس زيدان" بعد مقتله.

5- التقويم الأخلاقي:

الحزن الشّديد على "الرّيس زيدان" سواء لدى الذّات الاستهوائيّة "سعيد" أو بحّارة الميناء لكونهم اعتبروا أنّ "زيدان" قد ضحّى بحياته لأجل الوطن «**الحزن عليه في الميناء كان كبيرا، اعتبر واحدا من الذين ضحوا بحياتهم في سبيل الوطن**»[2]. فالذّات الاستهوائيّة "سعيد" لم يكتشف عمل "الرّيس زيدان" إلاّ بعد وفاته إذ كان يقوم بتهريب الأسلحة إلى فلسطين فكان تقييم

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 128.

[2]- المصدر نفسه، ص 140.

الذّات عمل "الرّيس زيدان" بأنّه بطولي ذو قيمة أخلاقيّة في تقديم المساعدة للشّعب الفلسطيني.

2-3- البرنامج السردي المساعد (3): (السفر على باخرة كاسل):

ويجسّد البرنامج السّردي المساعد(3) فعل تحوّل الذّات بعد الحرب العالميّة الثانيّة، ويمكن تحديد ذلك من خلال أطوار فعل التّحوّل كالآتي:

1- **التّحريك:**

لقد تحسّنت الأوضاع في البلاد بعد نهاية الحرب العالميّة الثّانيّة وبعد خروج فرنسا، ممّا أدّى بالذّات "سعيد" إلى التّفكير من جديد في السّفر وهذه المرّة قد شجّعه بحّار يدعى "عمر الدندي" كان يشتغل على باخرة (كاسل) فكان بذلك العامل المساعد البشريّ نحو السّفر وهذا ما نجده في المقولة السّرديّة: «... **لكن بحّارا أغراني بالسّفر كان أكبر منّي سنّا له تجربة في البحر ويعرف بلاد بره، اسمه عمر الدندي...**»[1]. وهناك عامل آخر بمثابة المحرّك والمرسل الاستهوائي للذّات والمتمثّل في هوى الحبّ. فالذّات الاستهوائيّة "سعيد" متعلّقة بالموضوع (كاترين الحلوة) تحنّ إليها وتفتقدها لرحيلها إلى اليونان بعد زواجها من "الرّيس اليوناني"، حيث نجده يقول: «**أيّ شوق إليها مازال يعيش في صدري؟... كانت جزءا من حياتي البحريّة...**»[2] (..) «**إذا رحلت كاترين الحلوة فسيحدث فراغ رهيب قنوط**

---

[1]- حنا منية، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 209.

[2]- المصدر نفسه، ص 128.

من عودة الوالد، فقدان فالذّات "سعيد" يعيش حالة نفسيّة متأزّمة بعد زواج "كاترين الحلوة" ورحيلها إلى اليونان.

وبذلك كان العامل النّفسي للذّات الاستهوائيّة مرسلا ومحرّكا نحو عمليّة الانجاز لتحقيق الموضوع (العثور على والده وكاترين الحلوة).

2- الكفاءة:

امتلكت الذّات "سعيد " الخبرة في السّفر والإبحار من خلال تجاربه السّابقة مع "الرّيس عبدوش" و"الرّيس زيدان"، حيث امتلك جهات الفعل المضمرة والمحدّدة للتّأسيس من خلال وجوب الفعل وإرادة الفعل وهذا ما نجده في الحوار الداخلي (المونولوج) للذّات "سعيد" حين يقول: «**فضّلت السّفر على الميناء... كنت بعد الحرب العالميّة وبعد خروج فرنسا.. قادرا أن أبقى في الميناء... لكن بحّارا أغراني بالسّفر كان أكبر منّي سنّا... اسمه عمر الدندي**»[1] (...) «**سافر يا سعيد... سافر... عمر الدندي ليس أفضل منك... سافر في السّفر سبع فوائد وتكفيني واحدة منها أن أعثر على والدي**»[2].

ومن التّأسيس إلى التّأهيل من خلال امتلاك الذّات المعرفة والقدرة على الفعل بالسّفر والإبحار وهذا ما نجده في قوله: «**لا زمت عمر خلال**

---

[1]- حنا منية، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 209.

[2]- المصدر نفسه، ص 212.

أسـابيع.... اتّفقنـا علـى السّـفر»[1]. ويمكـن أن نحـدّد الجهـات المضـمرة والجهات المحيّنة للفعل نحو تحقيق الموضوع كما في الجدول الآتي:

الكفاءة		**الإنجاز**
الجهات المضمرة	الجهات المحيّنة	الجهات المحقّقة
– إرادة الفعل. – واجب الفعل للبحث عن والده وكاترين.	– معرفة فعل السّفر مع عمر الدندي. – القدرة على السّفر والإبحار من خلال تجاربه.	– تحقيق فعل السّفر والإبحار على باخرة كاسل.

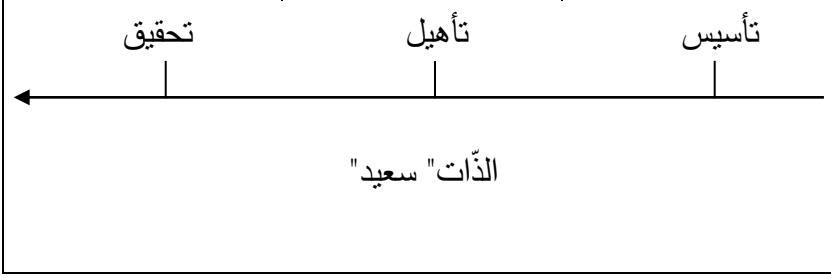

3–الإنجاز:

ويقف أمام عمليّة إنجاز الذّات "سعيد" وجود عامل معارض "الأم" أمام قرار الذّات "سعيد" بالسّفر، وهذا ما نجده في قول الذّات "سعيد": «**أمـي هيّ هيّ، لم يبلغ تقدّم العمر أن يغيّرها، بالعكس زادها خوفا ووسوسة (....)**

[1]– حنا منية، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 212، 213.

صارت عودتي إلى البحر كارثة بالنّسبة إليها..»[1]. ولكن الذّات "سعيد" قاومت العامل المعارض "الأم" وصمّمت على السّفر، «**لكنّني لم أرضخ لضغوطها لم أكترث لتوسلاّتها ودموعها... أفهمتها أنّني سأسافر (..) قلت لها سأسافر...»**[2]، وبالرّغم من وجود العامل المعارض "الأم" التي ترفض سفر الذّات "سعيد"، إلاّ أنّه سافر على الباخرة (كاسل)، فالبرنامج السّرديّ المضاد "الأم" قد فشل في منع "سعيد" من السّفر وهذا يعني نجاح البرنامج السّردي للذّات "سعيد" بالسّفر والإبحار على باخرة (كاسل)، وهذه المرّة لتحقيق موضوع القيمة (1) العثور على والده، وموضوع القيمة (2) العثور على "كاترين الحلوة". ويتجلّى تصميم الذّات على فعل السّفر في الملفوظ السّردي: «**لازمت عمر خلال أسابيع... اتّفقنا على السّفر...»**[3]. (...) «**نحن الآن بحّارة على الباخرة (كاسل) حمولتها 25 ألف طن تعمل بين أوربا وأمريكا، انتهى عهد المراكب أنا الآن بحّار في باخرة وسنبحر إلى مسافات بعيدة إلى مرافئ شهيرة»**[4]. (..) «**وبعد أسبوع كنّا في أثينا»**[5]. ويمكن أن نحدّد البنية العامليّة للعوامل السّرديّة المتضافرة في تشكيل البرنامج السّردي كالأتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 214.

[2]– المصدر نفسه، ص 214، 215.

[3]– المصدر نفسه، ص 212، 213.

[4]– المصدر نفسه، ص 220، 221.

[5]– المصدر نفسه، ص 215.

– العثور على والده وكاترين

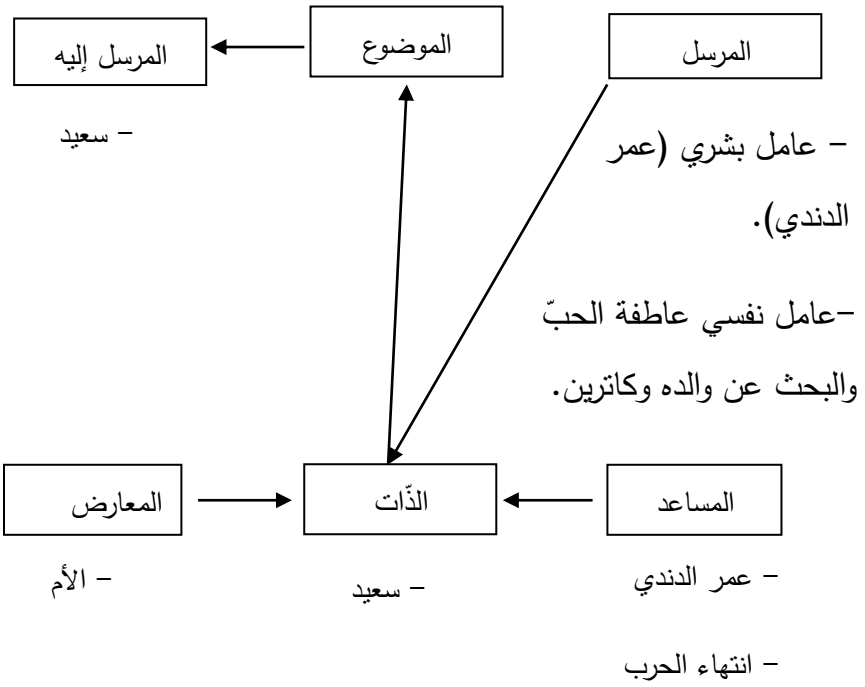

لقد طالت هذه الرّحلة إلى خمس عشرة سنة ولم يعد "سعيد" إلى أرض الوطن وطيلة هذه المدّة وهو يبحث عن والده كما في الملفوظ السّردي: «**خمسة عشر سنة مضت وسعيد يبحث من مرفأ إلى آخر، عمل بعد (كاسل) على الباخرة صوفيا كولوتروني، حمولتها 35 ألف طن، عابرة قارّات انطلقت من رأس الرجاء الصّالح إلى بحر الهند، ورست في سنغافورة مركز تموين السّفن ومنه إلى بومباي...**»[1]. استغرق بحث "سعيد" خمس عشرة سنة من مرفأ إلى آخر، وهو يبحث عن والده (الموضوع القيمة) الأساس

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 339.

و"كاترين الحلوة" التي سبّب له غيّابها أزمة نفسيّة ولكن لم يعثر عليهما في رحلته الطّويلة هذه.

4- الجزاء:

فشل البرنامج الرئيس "لسعيد" في العثور على والده وعلى "كاترين الحلوة" نحو قوله: «**ما عثرت على كاترين الحلوة ولا على زوجها اليوناني وكالحلم تبخّر ذلك الأمل ...**»[1]. ونظرا لفشل "سعيد" في مهمّة بحثه عن والده وعن "كاترين" قرّر العودة إلى الوطن، وحين عودته وجد أنّ أشياء كثيرة قد تغيّرت أثناء غيّابه الطّويل: «**...عاد إلى بيت أسرته في حيّ الكاميليّة وهو يقدر ممّا سمع أنّ أشياء كثيرة تغيّرت في الوطن**»[2].

نجد في الملفوظ السّردي أنّ الذّات انفصلت عن البحر حيث كانت متعلّقة به كثيرا، وبذلك انتقلت من علاقة اتّصال بالبحر إلى علاقة انفصال عنه ويمكن توضيح شكل التّحوّل الانفصالي كما في الصّيغة الآتيّة:

(ذ1 ∩ م البحر) ⟵ (ذ1 ∪ م البحر)

وأمّا عن الأشياء التي تغيّرت في غيّاب "سعيد" هو موت والدته «**سوى الأمّ وهذه في سنوات الإبحار الأخيرة ماتت**»[3]، كانت ثلاثة أشياء جوهريّة في حياة "سعيد" ظلّت كهاجس تسيطر عليه وتشغله وتدفعه إلى التّوتّر النّفسي

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 227.

[2]- المصدر نفسه، ص344.

[3]- المصدر نفسه، ص343.

هـيّ: (والـده، وكـاترين الحلـوة، والبحـر) كمـا فـي الملفـوظ: «**هـذا الثّـالوث الذي شغله وسيظلّ يشغله**»[1].

ونجد الجزاء في البعد الاستهوائي بإصابة الذّات الاستهوائيّة "سعيد" بأزمة نفسيّة حادّة سببها عدم إيجاد "والده"، وغيّاب "كاترين الحلوة"، وانفصاله عن "البحر" فتطوّرت أزمته بعد تحطيم المركب (المجسّم) في بيته المكتوب عليه اسم "كاترين" معتقدا بذلك أنّه قد قتلها، فيخرج مناديّا لم أقتلها كما في الملفوظ السّردي: «**فتح الباب وراح يركض ويصيح في الشّارع لم أقتلها! لم أقتلها!..**»[2]. وعلى إثر ذلك نقل إلى الدير للعلاج، حيث قال الطّبيب بأنّه أصيب بأزمة نفسيّة، وعلاجها يتمّ بتحقيق أحد الثّلاث: إمّا العودة إلى "البحر"، وإمّا العثور على "والده"، وإمّا العثور على "كاترين الحلوة"، ويمكن توضيح ذلك في المثلّث الاستهوائي للذّات "سعيد" كالآتي:

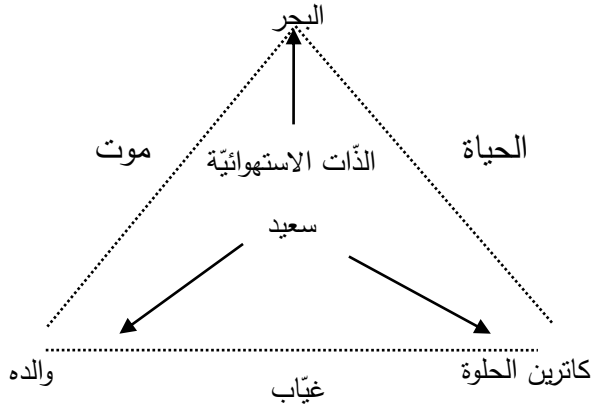

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 349.

[2]– المصدر نفسه، ص 377.

كان "سعيد" يعيش طوال هذه السّنوات التي أفناها من حياته في وهم وأمل وهاجس سيطر عليه وشغله في البعد المعرفي بوجود والده على قيد الحياة في مكان ما إلاّ أنّ الحقيقة هي عكس ذلك، ومنه نقف على تحديد المربّع التّصديقي للكينونة والظهور كالآتي:

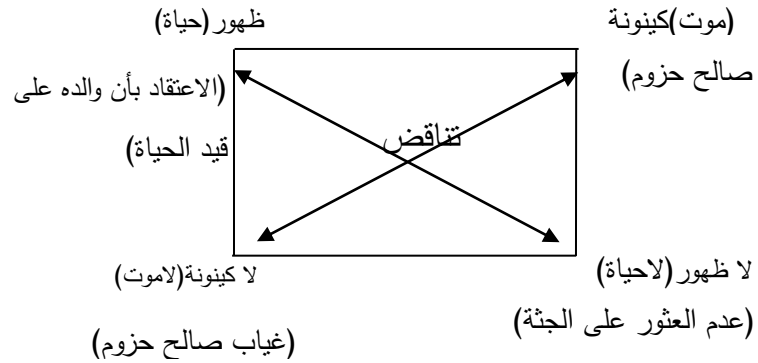

ويمكن أن نفصل في المسار الاستهوائي للذّات الاستهوائية "سعيد" بتتبّع مراحل الخطاطة الاستهوائيّة.

3-1- الخطاطة الاستهوائية:

تحدّد لنا الخطاطة الاستهوائيّة مراحل تطوّر الأزمة النّفسيّة لدى الذّات الاستهوائيّة "سعيد" من المستوى العميق الدّاخلي إلى المستوى السّطحي الخارجي للحالة النّفسيّة، ويمكن أن نحدّد مراحل الخطاطة الاستهوائية كالآتي:

1- الانكشاف الشعوري:

كانت الحالة النّفسيّة لدى "سعيد" تسوء أكثر، إذ أدرك الخسارة في عدم الإنجاب وأدرك ضيّاع السّنوات في مطاردة وهم وسراب والده ممّا زاد ذلك من توتّره كما في الملفوظ: «**الآن أدرك الخسارة في عدم الإنجاب.. لو كان له زوجة، ولد، لو كان والده إلى جانبه، لو لم تمت أمّه... اعتراه عصاب (...) توسوس... كبر وسواسه... (...) ويوما بعد يوم جفاه النّوم وراح يهزل، وتبرق عيناه بقلق غريب....**»[1].

2- الاستعداد:

مرّت الذّات الاستهوائيّة "سعيد" بحالة نفسية حادّة أكثر من المرّة السّابقة فهذه المرّة مرّ بحالة توازن وثبات لمدّة سنتين ثمّ عاد التّوتر والاضطراب بأكثر شدّة من ذي قبل «**طوال سنتين استطاع الثّبات في العمل... فتح بقاليّة وأقفلها عمل سائق تاكسي وترك العمل... وأخيرا استبدّ به كره للجميع (..) أنّه عليه لا يتكلّم مع أحد**»[2].

3- المحور الاستهوائي:

لم يستطع "سعيد" أن يبقى في حالة توازن وثبات بأن يستقرّ في عمل معيّن لأنّ حالته النّفسيّة مضطربة، ولأنّه لم ينس البحر ووالده، و"كاترين

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 376، 377.

[2]- المصدر نفسه، ص 377.

الحلوة": «**تصوّر الجميع أعداءه، وتصوّر أنّ كاترين عدوّته أيضا وأنّها خانته وفضّلت ذلك اليوناني عليه...**»[1].

4- العاطفة:

بدأت حالته تسوء أكثر وأزمته النّفسيّة تشتدّ فدفعته عاطفة الخوف القويّة إلى حدث استهوائي «**وذات ليلة انقلبت الباخرة إلى امرأة إلى كاترين حقيقة أمامه، فانقضّ عليها، وراح يهوي بقبضته على أخشابها حتّى حطّمها، وعندئذ خيّل إليه أنّه ارتكب جريمة وأنّهم سيقتلونه بسببها وربّما شنقوه... وفقد عقله من الخوف، ففتح الباب وراح يركض في الشّارع ويصيح (لم أقتلها! لم أقتلها!)**»[2].

تمثّل الحدث استهوائي النّاتج عن قوّة الانفعال والتّوتّر الشّديد إلى: أوّلا بتحطيم المجسّم (الباخرة)، وثانيا بهجومه على النّاس في الدير معتقدا أنّهم سيضربونه وسيعتدون عليه، وهو ما سبّب لديه انفجارا عصبيّا حادّا «**نقل سعيد بعد هذا الانفجار النّفسي إلى مستشفى دير الصليب للأمراض العصبيّة تمركزت أزمته حول الخوف، انقلبت الوسواس القهريّ إلى وسواس عدواني صار يهاجم، يضرب، يحاول الاعتداء، حتّى على أقرب النّاس إليه، مدفوعا بشعور مرضي، يخيّل إليه أنّ الآخرين يهاجمونه وسيضربونه ويعتدون**

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 377.

[2]- المصدر نفسه، ص ن.

عليه، ويودعونه السّجن »[1] وهذا بفعل التوتّر الذي يقوده إلى تفجير الطّاقة الاستهوائيّة[2].

5- التقويم الأخلاقي:

استمع الطّبيب إلى قصّة "سعيد" من الطّفولة إلى الشّباب وغربته وعودته إلى الوطن وكلّ تفاصيل حياته من أخيه الذي نقله إلى الدّير «**الطّبيب خالد أشرف على علاجه، استمع إلى أخيه الذي حمله على الدير، روى هذا حياة المريض طفولته شبابه، غربته عودته إقامته في البيت العائلي المهجور إخفاقه في الحصول على عمل (...)، رغبته المحبطة في الإبحار ثانيّة عزلته التّامة التي أدّت به إلى الانفجار، محاولته تحطيم الباخرة التي تحمل اسم "كاترين الحلوة" وجود امرأة حقيقيّة بهذا الاسم، كانت له بها علاقة تزوّجت وهاجرت إلى اليونان**»[3]، وكان الطّبيب يسجّل هذه المعلومات لعلّها تساعده في علاج المريض، واكتفى بهذه المعلومات وأجلّ فحص المريض بعد زوال النوبة العصبيّة «**اكتفى بتطمين أخيه بالشفاء مادامت الأزمة انفجرت انفجارا... ولم تأخذ شكلا تدريجيّا، يتم عن فقدان إحدى القوى العقليّة**»[4].

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 377.

[2]- ينظر: ألجيرداس .ج.غريماس، وجاك فونتيني، سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، تر: سعيد بنكراد، ص 16.

[3]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 378.

[4]- المصدر نفسه، ص ن.

كان الطّبيب عاملا مساعدا في علاج "سعيد" من الأزمة فقد قدّم له «**بعض الحبوب المهدّئة وأقراصا منوّمة ووضعه في غرفة انفراديّة، ومنع زيارته إلى أن تبدأ النّوبة بالزّوال تدريجيّا ..**»[1]. وقد نجح الطّبيب في تهدئة الذّات الاستهوائيّة «**بعد أيّام زالت النّوبة... رجع سعيد هادئا، واهنا وخجولا لا يتذكّر ما مرّ معه، ويسأل: (من الذي أتى بي إلى هنا؟)**»[2] (...)، «**يقول الطّبيب: لا تخف... لست مريضا عقليّا... هذه مجرّد أزمة... تحتاج إلى بعض التّحاليل..**»[3].

وبعد الاستجابة الجيّدة والناجحة لدى الذّات الاستهوائيّة للدّواء بدأ الطّبيب بالتّحاليل من خلال الجلسات مع المريض، وكانت نتيجة الفحص إصابة الذّات الاستهوائيّة "سعيد" بمرض الزّهري: «**إصابته بالزّهري... وقد توقّف الطّبيب عند هذه الإصابة لكن الفحص أثبت أنّ الشّفاء كان تامّا، بقيّت عقدتان: شعور بالذّنب، ترسّب في الأعماق، بسبب خيّانته لوالده مع كاترين الحلوة والمزج التّام بين البحر وكاترين هذه، في صورة واحدة، والبحر وكاترين والباخرة كانت رمز الإثنين: كتب الطّبيب في تقريره ما يلي: (من عوامل الشّفاء اللّقاء بكاترين، أو العودة إلى البحر) وإلى أن يسافر في البحر ثانيّة ضرورة الانتقال من المنزل العائلي المهجور**»[4]، وكانت نصيحة الطّبيب

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 378.

[2]– المصدر نفسه، ص ن.

[3]– المصدر نفسه، ص 379.

[4]– المصدر نفسه، ص380،379.

أثناء خروج "سعيد" هيّ العودة إلى البحر وتنفيذا لها عاد للعمل في البحر من جديد على ظهر باخرة عابرة للقارّات بعد انقطاعه عنه، حيث نجد أنّ الذّات الاستهوائيّة بعد وضعيّة الانفصال عن الموضوع (البحر) يعود إليه فتتحدّد لها بذلك وضعيّة الاتّصال بالموضوع، فالبحر بمثابة حياته والعودة إليه هيّ العودة إلى الحياة من جديد، ويمكن تحديد وضعيّة الذّات في شكل تحوّل اتّصالي للموضوع كما في الصّيغة الآتيّة:

(ذ1 ∪ م البحر) ←——— (ذ1 ∩ م البحر)

ولتخفيف الذّات من ثقل الحياة بدأ بتفريغ همومه ومشاكله وسرد حياته من الطّفولة إلى الشّباب، والكهولة إلى البحر، فانفتحت ذاكرته إلى الماضي بسرد قصّته وسيرته، وهو يسير من على طول الشّاطئ من طرطوس إلى اللاّذقيّة «**وعلى طول الشّاطئ من طرطوس إلى اللاّذقيّة، ضلّ سعيد يسير قرّر أن يفعلها، وفعلها، نام في بانياس ليلة وفي جبلة ليلة، لكنّه صمّم على السّير يقول للبحر كلّ شيء وليسمع منه كلّ شيء**»[1]. ومن الخطاطة الاستهوائيّة يمكن أن نحدّد البنية العامليّة كالآتي:

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 400.

– الخروج من الأزمة النّفسيّة

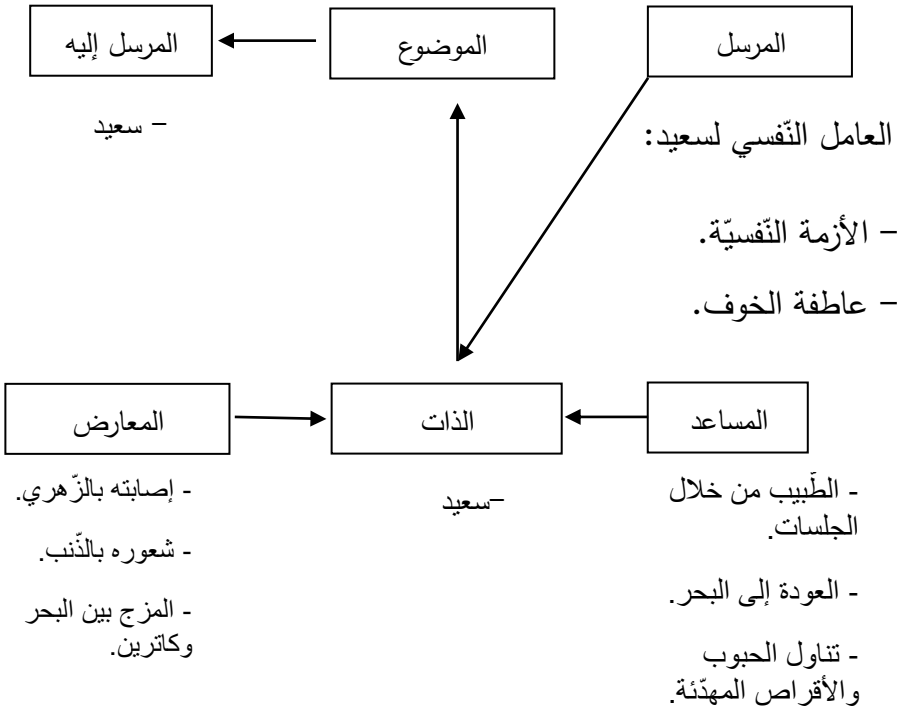

وكان من أسباب علاجه التي ذكرها الطّبيب له هو لقاء "كاترين" وهذه قد جاءت إليه يوما. «**وذات ليلة (...) استيقظ على دقّات قويّة على الباب (...) فتح الباب واندفع إلى الخارج فلم يجد أحدا (...) غير أنّه استطاع في غبش الصّباح أن يرى زوالا يتحرّك باتّجاه الشّاطئ (...) سار وراءه بخطى وئيدة، أوّلا، حتّى لا يشعر به ثمّ أوسع الخطى، حتّى لحق به عند حافّة الماء، وعندئذ صرخ بصوت قويّ: – من أنت!؟**

– ولم يأته جواب، غير أنّ الزّوال توقّف.. ثّم استدار كاشفا وجهه وعندئذ حدثت المفاجئة المروّعة: كاترين الحلوة! كانت هيّ (...) ولمّا أيقنت أنّه

عرفها ندت عنها عبارة واحدة: – وداعا، وإلى الأبد.. ثمّ انزلقت في المّاء غابت في البحر، وراح هو يصرخ وراءها: كاترين! يا كاترين..»[1]. لقد ألقى بنفسه وراءها، وظلّ يسبح محاولا اللّحاق بها لكنّها اختفت لم يعثر عليها، كانت نهاية "كاترين الحلوة" بانتحارها أمامه، فانتهت قصّتها معها، وبذلك قرّر السّفر والإبحار مطاردا وهم والده فهو لا يزال يعتقد بأنّه على قيد الحياة وأنّ من واجبه البحث عنه، فخيال والده يلازمه دائما لم يستطع نسيانه، ولم يستطع التّخلّص من هذا الوهم الذي يعيشه حتّى بعد كبر سنّه كما في المقطع السّردي الآتي: «**وفي اليوم نفسه، أقفل باب القصر... وحمل المفتاح إلى سيّدته قائلا: – انتهت إقامتي.... إنّني مسافر.**

– إلى أين؟

– للبحث عن والدي..

– قال زوجها:

– ولكن والدك مات، مات منذ زمن بعيد.

– وقال سعيد حاسم النّبرات:

– والدي حيّ، وأنا ذاهب للبحث عنه...

– أنت تبحث عن وهم..

– أنا أبحث عن حقيقة...»[2].

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 405 ، 406.

[2]– المصدر نفسه، ص 407.

وبذلك غادر "سعيد" نحو رحلة جديدة للبحث عن والده «**ولمّا صار على ظهر الباخرة وقف عند الحاجز وأرسل بصره باتّجاه المدينة، فيما الباخرة تغادر تبتعد، وسؤال كبير عنيد يلّح عليه: (– ترى... يقتلعون الشّجرة من جذورها هذه المرّة ؟)**[1].

لقد كرّس "سعيد" حياته في البحث عن والده كما في المسار السّردي للثّلاثيّة في المرحلة الأولى معتقدا بأنّه ميّت وفي المرحلة الثّانيّة للبحث معتقدا بأنّه لا يزال على قيد الحياة، حيث قاوم "سعيد" العامل المعارض المتمثّل في "الأم" في البرنامج السّردي المضاد أثناء سفره مع "الرّيس عبدوش" وكما قاوم "سعيد" مرّة ثانيّة أثناء سفره مع "الرّيس زيدان" العامل المعارض المتمثّل في الحرب العالميّة الثّانيّة وأجوائها في الميناء والبحر وتجاهل رفض "الأم" للسّفر وخوفها الشديد عليه. وسافر في باخرة (كاسل) وأثناء عودته وجد أشياء كثيرة تغيّرت منها وفاة والدته ثمّ انتهى بأزمة نفسيّة حادّة شفيّ منها بصعوبة، فكانت الثّلاثيّة سيرة ذاتيّة للبحّار "سعيد" يسردها للبحر وهو يسير على طول الشّاطئ من طرطوس إلى اللاّذقيّة.

ومّما سبق فقد حاولنا في هذه الثّلاثيّة الوقوف على التّركيبة السّرديّة والشّبكة العلائقيّة للبرامج السّرديّة في البعد المعرفيّ وتحديدها بمرحلتين: الأولى: عامل الذّات "سعيد" نحو الموضوع (الاعتقاد بموت والده)، والثّانيّة: عامل الذّات "سعيد" نحو الموضوع (الاعتقاد بأنّ والده على قيد الحياة) والأمل في العثور عليه في البرنامج الاستهوائي وبذلك حاولنا رصد حركة العامل

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 408.

ومراحل تحوّله في البرامج السّرديّة للمسار السّردي في البعد المعرفي بالوقوف على أطوار الخطاطة السرديّة (التّحريك، والكفاءة، والإنجاز، والجزاء) وبرصد النّموذج العملي والمربّع السّيميائي والمربّع التّصديقي، وكما حاولنا الوقوف على المسار الاستهوائي، واستخلاص البرنامج الاستهوائي للذّات الإستهوائيّة ومراحل تطوّر الحالة النّفسيّة لديها في كلّ مرةّ، وكان ذلك بالاستعانة بالخطاطة الاستهوائيّة من المستوى العميق إلى المستوى السّطحي من خلال تتبّع مراحلها وهيّ: (الانكشاف الشّعوريّ، والاستعداد، والقطب الاستهوائي، والعاطفة، والتّقويم الأخلاقي) وتحديد العامل النّفسي والاستهوائي في البنية العمليّة للعوامل السرديّة، ومنه فقد كان التّداخل بين المسار العاملي والمسار الاستهوائي في التّركيبة السّرديّة للبنيّة السّرديّة للثّلاثيّة.